عمارة المكتبات في الإسلام

نشأتها، تطورها، مصائرها، إعادة تفعيلها، أسس ومعايير عمارتها

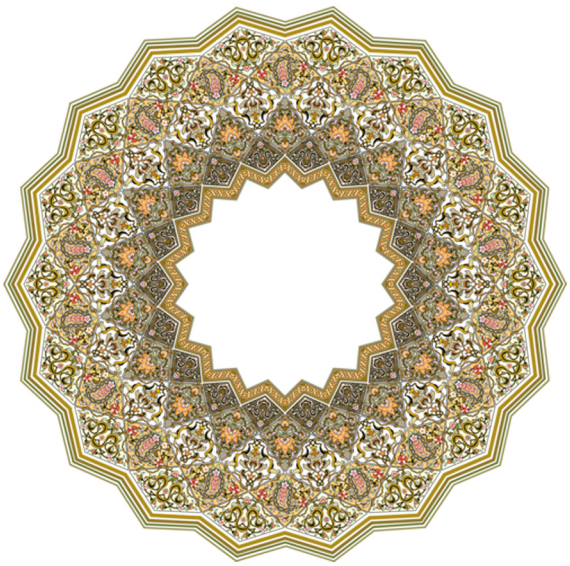

عبد الوهاب مصطفى ضاهر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مركز دراسات العمارة الإسلاميَّة العالمي

موسوعة العمارة في الإسلام

المجلد الثاني عشر

عمارة المكتبات في الإسلام

نشأتها- تطورها- مصائرها- إعادة تفعيلها- أسس ومعايير عمارتها

إعداد الباحث المهندس المعماري

عبد الوهّاب مصطفى ضاهر

دراسات عليا في العمارة الإسلاميَّة

المقدمة

إن هذه النسخة الأولية من كتاب عمارة المكتبات في الإسلام نسخة مبدئية، لهذا فهي بالتأكيد
تحوي بعض الأخطاء اللغوية والإملائية فيرجى ممن قرأها ووجد خطأ أو عبارة أو
فقرة مبهمة الاتصال بالمؤلف مشكوراً لتنبيهه وذلك على العنوان الآتي :
Edgt38@hotmail.com
فما أحوجني قبل طباعة الكتاب للنقد أو ناقدا متخصصا
أو حتى لقلب بعض المفاهيم التي لم أوفق في استيعابها فظهر
أو للتعديل أو لتوضيح فكرة لم أصغها جيدا
أفكارها مغلوطة من جانب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد : فإن الحضارة الإسلامية حضارة واعية متكاملة ومتوازنة من الناحية المادية والروحية، كيف لا وهي قد استمدت شرعيتها من القرآن والسُّنة، ولأن الشريعة الإسلاميَّة اهتمت بتعليم وتثقيفه؛ فقد دأب المسلمون على عمارة دور العلم، ومن هذه الدور المكتبات التي أنشأها الحكام والسلاطين والعلماء والعوام المسلمين وطوّروها.

وتعتبر المكتبات الإسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي يفخر بها الإسلام والتي كان لها دور كبير جداً في نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين، وقد تعدى تأثيرها المسلمين انفسهم فانتقلت أثارها إلى ديار الغرب مما يجعل دراسة موضوعية لمثل هذه المؤسسات ضرورة كبرى.

وقد كتب كثير من الباحثين العرب والأجانب، فصولاً ومقالات عن هذه المؤسسات الثقافية وأهميتها بشكل مجمل، ولكن لم يصل إلى علمي أن أحد الباحثين خصص كتاباً لاستنباط أسس وضوابط عمارة هذه المكتبات في الإسلام وتطورها وتأثيرها بغيرها من المؤسسات المشابهة في الغرب.

وتعتبر المكتبات المنظمة الغنية بمحتواها، الدعائم الأساسية التي تشاد عليها صروح العلم والثقافة والحضارة والمعرفة والتربية، والينابيع الفياضة التي تغذي تقدم الأمم العلمي والحضاري بماء الحياة والبقاء، ويقاس رقي الأمم أو تأخرها بكثرة المكتبات وما تلقاه من عناية ورعاية أو ندرتها وإهمالها واعتبارها شيئاً ذا أهمية ثانوية. والملاحظ أن أجدادنا المسلمين اعتنوا بالمكتبات على أنواعها عناية فائقة، نتمنى نحن العائشين في القرن العشرين وفي عصر الذرة والصواريخ والصعود إلى القمر أن تنال مكتباتنا شطراً يسيراً منه. هذه العناية وهذا الحب للكتب وجعلها مبذولة للجميع لم يولد هكذا طفرة، ولم تأتيا عفواً دونما تعب أو نصب، وإنما هما نتيجة تطور طويل أخذ سمته منذ عهد صاحب الرسالة عليه السلام وامتد عبر القرون حتى اثمر ثمره وآتى أكله في دار السلام.

ومما يدهش له أن العرب المسلمين الذين خرجوا من شبه جزيرتهم منساحين في الأرض تبنوا حضارات الأمم الأخرى، أو بالأحرى تبنوا ما لاءم مثلهم منها ورقوها وأبدعوا ما شاء لهم

الإبداع، ذلك أن المرء يتوقع في حالة قبائل منعزلة بدوية أن تدمر كل ما يصادفها من معالم الحضارة في البلاد التي يقدر لها أن تطأها أقدامها كما فعل المغول والتتار عندما غزوا العالم الإسلامي فيما بعد، ولكن الذي حدث هو العكس، لم يدمر العرب المحررون شيئاً مما وجدوه وإنما تبنوه واحتضنوه وطوروه وتمثلوه وبعد فترة أبدعوا حضارتهم الذاتية المعبرة عن شخصيتهم، ولكن العجب يزول عندما يتذكر الإنسان أن العرب زمن الفتوح كانوا حملة رسالة وهذه الرسالة تحض على العلم والتعلم وهي إنسانية في أساسها اتت من أجل خير الإنسان واحترامه بصرف النظر عن دينه ولونه وعرقه وجنسه، وتطبيقها يعني اكمال الإنسان لإنسانيته، وهذا هو الفرق الأساسي بين المسلمين وغيرهم من الغزاة، يحرر المسلمون النفوس قبل الأراضي ويحطمون الطواغيت التي تمنع من تحقيق إنسانية الفرد ويسمحون لحيوية الأفراد وإمكاناتهم أن تتضح وأن تبدع، وأما الآخرون فيغزون لدوافع هي ضد الإنسانية ولتدميرها.

بدأ المسلمون حضارياً وفي كثير من المجالات من نقطة الصفر كما يقال وتتلمذوا على أيدي سكان البلاد المحررة، ولكن لم يمض جيلان أو ثلاثة حتى أصبح المسلمون أنفسهم سادة الحضارة ذلك أنهم اتقنوا ما تعلموه ثم أبدعوا وهذه هي مهمة التربية الحقيقة الأساسية.

لقد أحب العرب الكلمة الطيبة وكانت تسحرهم البلاغة والفصاحة ولما تحضروا واستقروا في البلاد المفتوحة استمروا على تأثرهم بالبلاغة والفصاحة واضيف إلى ذلك حب الكتب واحترامها، لقد احضروا معهم من شبه جزيرتهم كتابهم المقدس القرآن الكريم الذي تمركز حوله عدد كبير جداً من الدراسات. ولكنهم وجدوا في البلاد الأخرى كتباً كثيرة فلم يدعهم حبهم واحترامهم لكتابهم العزيز إلى احتقار واتلاف الكتب الأخرى، بل بالعكس اهتموا بها ونموها وطوروها وحفظوها وبنو لها أماكن لإيوائها هي ما كانوا يسمونه خزائن الكتب وهي ما تعرف الآن بالمكتبات، والواقع أنا احدى مميزات الحضارة الإسلامية الرئيسية هي حبها للكتب ونشرها المعرفة عن طريق الكتب واحتضانها المكتبات وتعميمها وجعلها في متناول جميع أفراد الشعب دون اعتبار للعمر أو الجنس أو الدين أو اللون أو الثقافة. لم يبز شعب من شعوب الأرض كلها المسلمين في حبهم للكتب وفي حدبهم عليها، ترى أحدهم وتسمعه يناجي كتابه وكأنه يناجي ولده الوحيد أو أليفه الحبيب، وكتب الأدب العربي مليئة بالأمثلة الرائعة الدالة على ذلك، هذا الحب نابع من صميم وجدانها ومن تعاليم دينهم الذي يقضي باحترام المعرفة والحكمة وبالتالي أوعيتها.

أما المعارف فهي تراث إنساني ورغم أن المسلمين لم يطرحوه جانباً وإنما احتضنوه واعتنقوه إلا أنهم لم يكونوا عبيداً له فقد نقلوا تراث الأمم القديمة دون تفريق من يونان وقبط وهنود وآشوريين وفرس وكلدان وسريان.. إلى اللغة العربية ثم تمثلوا ما عربوه وأبدعوا بعد ذلك تفكيرهم واراءهم المستمدة من ثقافتهم المتلائمة مع أوضاعهم ومثلهم وأخلاقهم ومشاربهم، وبهذا يكون المسلمون هم الورثاء الطبيعيين لحضارات البحر الأبيض المتوسط القديمة العظيمة السامية بتقاليدها العائدة إلى أقدم العصور وبهم بلغت تلك التقاليد ذروتها ووصلت إلى نطة كمالها، كما وغن حضارة البحر الأبيض المتوسط استرجعت بهم شخصيتها المميزة لها، كما استرجع الشرق وجهه الحقيقي بالإسلام والمسلمين.

إن إحدى مميزات الحضارة الإسلامية أنها حضارة كتب ومكتبات، وهذه هي احدى الجوانب المهمة من الحضارة الإسلامية التي لما تدرس كما ينبغي بعد، ولذلك سوف يجد القارئ فيما يلي محاولة لدراسة هذه الناحية المهمة من روائع حضارتنا التي أرجو أن أكون قد وفقت لرسم صورة واضحة مشرقة علمية لها ولتطورها ألا وهي سرد تاريخ وتطور المكتبات في الإسلام.

وليس في وُسع أحدٍ أن يتصوَّر حَجم ما خطَّته أقلامُ العلماء والمفكِّرين والأدباء من المسلمين في شتَّى فروع المعرفة، في حدود ما تبقَّى منها حتى يومنا هذا، فضلًا عمَّا امتدَت إليه عادياتُ الزَّمن بالتبديد أو الإحراق أو الضَّياع.

ومِن تحصيل الحاصل أن نَمضي في تتبُّع الأرقام المذهلة لكمِّيات الكتب التي احتوَتها المكتبات العربيَّة العامَّة والخاصة في العالم الإسلامي القديم، والتي توافرَت عنها أو عن بعضها معلومات موثَّقة؛ ذلك أنَّ ما أفلتَ من عاديات الزَّمن من هذه الكتب يَشغَل في يومنا هذا مكانًا يتفاوت ضخامةً وضآلةً في مكتبات العالم الكبرى.

- أهمية البحث وأسباب اختياره:

إن الذي جعلني اختار هذا الموضوع :

١- غياب التصميم الإسلامي المكتبات، والاعتماد على التصاميم المستوردة.

٢- توضيح أنَّ الحضارة الإسلامية كانت مساهمة في المجالات العلمية والتعليمية.

٣- الواقع الذي نعيشه اليوم، من خلال عدم تفعيل دور المكتبات بشكل صحيح.

٤- بيان السبق الإسلامي لكثير من المفاهيم التي تعد من أبرز معالم النظام المعماري الحديث.

٥- قلة المراجع باللغة العربية _ حسب اطلاعي _ عن عمارة المكتبات في الإسلام.

- مشكلة البحث وحدوده :

تتركز مشكلة الدراسة في استنباط أسس وضوابط عمارة المكتبات، لقلة مراجع في هذا المجال للمسؤولين والمختصين وطلاب الهندسة والمهتمين.

أما الحدود الموضوعية للدراسة : تقتصر الدراسة على دراسة المكتبات في بلاد المسلمين، والحدود الزمانية : يتناول هذا البحث حقبة زمنية تمتد من بداية الإسلام إلى العصر الحالي.

- الدراسات السابقة حول الموضوع :

تبين بعد البحث وجود بعض المراجع عن المكتبات مثل كتاب "تاريخ المكتبات الاسلامية و من ألف في الكتب" للشيخ عبد الحي الكتاني، وكتاب "المكتبات في الإسلام" للدكتور ماهر حمادة، ولكن هذه المراجع تحتوي على وصف للمكتبات وأقسامها وليس فيها استنباط لقواعد وأصول وضوابط عمارة المكتبات في الإسلام.

- منهج الدراسة :

اعتمدت في عرض رسالتي على طريقة المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنتاجي المقارن، حيث قمت باستقراء أقوال علماء المذاهب ومقارنتها وتحليلها، ثم الاستنتاج والمقارنة، وصولاً إلى الحكم، وحاولت التركيز في هذا البحث على تأصيل أسس وضوابط ومعايير عمارة المكتبات في الإسلام.

خطة البحث :

يتألف البحث من مقدمة وتسعة مباحث وخاتمة، على التفصيل التالي :

المقدمة : فقد تضمنت أهمية البحث وسبب اختياره، ومشكلة البحث وحدوده، والدراسات السابقة حول الموضوع ومنهج الدراسة .

الفصل الأول : تعريف المكتبة و أهميتها ونشأتها وتطورها :

ويشتمل على :

أولاً : تعريف المكتبة.

ثانياً : أهمية المكتبات.

ثالثاً : نشأة المكتبات وتطورها في الإسلام .

الفصل الثاني : تصنيف المكتبات في الإسلام :

ويشتمل على :

أولاً : المكتبات العامة.

ثانياً : مكتبات المساجد والجوامع.

ثالثاً : المكتبات الخاصة.

رابعاً : المكتبات الأكاديمية.

خامساً : المكتبات الخلافية.

سادساً : مكتبات المدارس.

سابعاً : مكتبات المشافي.

ثامناً : المكتبات المتنقلة.

تاسعاً : مكتبات الخانقاه.

عاشراً : مكتبات أخرى.

الفصل الثالث : دراسة تفصيلية لبعض أشهر وأكبر المكتبات في أرجاء الدولة الإسلامية:

ويشتمل على :

أولاً : خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد (دار الحكمة أو بيت الحكمة)

ثانيا : مكتبة قرطبة الضخمة بالأندلس.

ثالثاً : مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت.

الفصل الرابع : أقسام المكتبات في الإسلام :

ويشتمل على الأقسام التالية :

القسم الأول : قسم الدخول.

القسم الثاني : قسم المطالعة والبحث.

القسم الثالث : قسم النسخ والتجليد.

القسم الرابع : مستودع الكتب.

القسم الخامس : قسم الفلك.

القسم السادس : القسم الإداري.

القسم الثامن : القسم الخدمي.

القسم التاسع : قسم الفهرسة.

القسم العاشر : قسم البحث العلمي والإعارة.

الفصل الخامس : أسس وضوابط ومعايير واعتبارات عمارة المكتبات في الإسلام :

ويشتمل على :

أولاً : اختيار موقع المكتبة

ثانياً : توجيه المكتبة

ثالثاً : اختيار مواد بناء المكتبة

رابعاً : تصميم شكل وهيئة المكتبة

خامساً : طريقة الوصول إلى المكتبة

سادساً : نطاق خدمة المكتبة

سابعاً : حجم ومساحة المجمعات والمباني الطبية

ثامناً : أسس ومعايير تصميم المكتبة

الفصل السادس : أسـباب تطور وازدهار المكتبات الإسلامية وعوامل اضمحلال وزوالها :

ويشتمل على :

أولاً : أسـباب تطور وازدهار المكتبات الإسلامية.

ثانياً : عوامل اضمحلال وزوال المكتبات الإسلامية.

الفصل السابع : ميزات المكتبات الإسلاميَّة :

ويشتمل على :

أولاً : الميزة والصفة الدينية.

ثانياً : الميزة والصفة التعليمية والتربوية.

ثالثاً : الميزة والصفة العلمية.

رابعاً : الميزة والصفة الاجتماعية.

خامساً : الميزة والصفة الدعائية.

الفصل الثامن : أثر المكتبات الإسلاميَّة في نهضة العالم.

الخاتمة.

الفصل الأول : تعريف المكتبة و أهميتها ونشأتها وتطورها :

ويشتمل على :

أولاً : تعريف المكتبة.

ثانياً : المكتبات قبل الإسلام.

ثالثاً : نشأة المكتبات وتطورها في الإسلام.

الفصل الأول : تعريف المكتبة و أهميتها ونشأتها وتطورها :

ويشتمل على :

أولاً : تعريف المكتبة :

المكتبة لغة : مكانُ بيع الكُتب والأَدوات الكتابية، والمَكْتَبَةُ : مكانُ جمع الكتب وحِفْظها[١].

وأمَّا اصطلاحاً : فهي كلُّ مجموعة منظَّمة من الكتب المطبوعة والمطبوعات المسلسلة، أو أي وثائق أخرى – سمعيَّة، بصرية – بالإضافة إلى خدمات الموظفين المكلَّفين بتسهيل استعمال هذه الوثائق؛ لأهداف التربية والبحث والترفيه"[٢].

ومن هنا يُمكن القول بأنَّ المكتبة تقوم بوظائف أساسيَّة؛ هي تخزين المعلومات ومعالجتها، وتسهيل الوصول إليها واسترجاعِها، وقد جاء تعريف اليونسكو كنتيجة لواقع موجود منذ آلاف السنين التي كان فيها هدَفُ المكتبة الرَّئيس هو جمعَ مصادر المعلومات في مكانٍ واحد وحِفظَها؛ لتَبليغها إلى الأجيال القادمة.

ثانياً : المكتبات قبل الإسلام :

كانت معارف العرب بسيطة تتناسب مع حياتهم البدوية المتنقلة فكانوا يعنون بأنسابهم عناية كبرى، ولهم اهتمام بأيامهم ووقائعهم وحروبهم، والبلاغة وانشاد الشعر أساس ثقافتهم، وكانوا يرددون كثيراً من الأساطير، وعندهم بعض مبادئ الطب العملي القائم على التجربة، ووجدت بعض الملاحظات الفلكية الممزوجة بكثير من الخرافة والتنجيم، ولم يكن عندهم سجلات مدونة أو مكتبات أو كتب أو شيء من هذا القبيل (يُستثنى من هذا الحكم عرب الجنوب إذ تختلف حضارتهم عن حضارة عرب الشمال ووجد عندهم كثير من النقوش على الأحجار وغيرها). ذلك لأن طبيعة حياتهم المتنقلة وفقدان المواد اللازمة للكتابة وانتشار الأمية بينهم بشكل يكاد يكون تاماً جعلتهم يعتمدون اعتماداً كلياً على الذاكرة وجعلت وجود السجلات المكتوبة أمراً يكاد يكون مستحيلاً.

---

(١) انظر : **قاموس المعاني**، في الموقع : (www.almaany.com).

(٢) انظر : عمر السنوي الخالدي، **المكتبات في العصر الإسلامي : نشأتها ونماذج من تاريخها**، في الموقع : (www.alukah.net/culture).

عندما بزغ فجر الإسلام في مكة المكرمة لم يكن في قريش من يحسن القراءة والكتابة سوى بضعة عشر نفراً، وهذا يدل على تفشي الأمية بينهم، ويذكر الأستاذ كرد علي في كتابه "الإسلام والحضارة العربية" أن حرباً وابنه أبا سفيان هما اللذان نقلا الخط العربي إلى الحجاز قبيل ظهور الإسلام(١) ويذكر أن ذلك من أعظم مآثر بني أمية على العرب(٢).

لم يبق المسلمون محصورين في شبه جزيرتهم، إذ بدأت المحاولات الأولى لتحرير العالم من ربقة الطاغوت زمن الرسول الكريم، ولكنها أخذت طابع الجد والنشاط زمن الخلفاء الراشدين والأمويين فقد تمكنت الدفعة الأولى زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن تمد حدود الإسلام لتشمل بلاد الهلال والخصيب وبلاد الرافدين وفارس من جهة ومصر وبرقة من جهة أخرى، وأما الدفعة الثانية التي تمت زمن الوليد بن عبد الملك فقد وسعت دار الإسلام حتى جعلتها تشتمل على شمال افريقيا بكامله وعلى اسبانيا وأقسام من فرنسا غرباً وعلى بلاد السند وبلاد ما وراء النهر وحدود الهند والصين شرقاً.

هذا التوسع تبعه انسياح العرب المسلمين في الأراضي المحررة وامتزاجهم بسكانها واطلاعهم المباشر على حضاراتهم وتأثرهم بهم وتأثر الأخرين بهم. وبتعبير أخر بدأ التبادل الحضاري بأوسع معانيه يفعل فعله.

كان لدى سكان المناطق المحررة أشياء كثيرة لم يكن للعرب عهد بها، ولذلك لم ير العرب أي حرج في تبنيها واستعمالها وتطويرها لصالحهم ومن أجل ملاءمة شروط الحياة الجديدة التي انتقلوا إليها.

ففي عهد كسرى انو شروان (٥٣١-٥٧٩م) أعماله البطولية قد احيت الأدب الفارسي والهمته، وقد كان هو نفسه حكيماً وعاقلاً ومحباً للآداب والعلوم ومشجعاً لهما وهو الذي شجع

---

(١) كرد علي، **الإسلام والحضارة العربية**، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢ مزيدة منقحة،، ١٩٥٠م، ١٧٢.

(٢) كرد علي، **نفس المصدر**، ١٧٢.

الفلاسفة على الدخول إلى بلاده وهو الذي أدخل العلم اليوناني والفلسفة اليونانية إلى بلاد الرافدين وفارس. ويمكن القول أنه بدأ وقتئذٍ تاريخ المكتبات الشرقية في العصور الوسطية.[1]

وعندما طرد الإمبراطور جستينيان الفلاسفة اليونانيين من اثينا بعد إغلاق مدارسهم ٥٢٩م لجأوا إلى الإمبراطورية الفارسية فرحبت بهم السلطات الفارسية واسكنتهم مدينة جنديسابور الواقعة في قلب الإمبراطورية الفارسية وهناك استأنف العلماء عملهم وأسسوا مدرسة للطب في تلك المدينة ظلت حية ونشيطة حتى الفتح الإسلامي وحتى زمن الخلفاء العباسيين.

وقد نقل هؤلاء العلماء اليونان وتلاميذهم أنفس ما في الفكر اليوناني إلى السريانية والفارسية. وعندما أتت الدولة الإسلامية وبدأ الاهتمام بالعلوم والتعريب والنقل إلى اللغة العربية وجد المسلمون هذه النفائس اليونانية منقولة إلى احدى اللغتين السريانية أو الفارسية ومتأثرة بروح وأساليب وثقافات النقلة.

ولقد شاهد المسلمون الأوائل كتب الفرس ومكتبات الفرس وأعجبوا بها، وعندما آتى دور تأسيس المكتبات في الإسلام صاغوا مكتباتهم على النمط الفارسي إلى حد ما، وتأثروا بالفرس في جمعهم كتبهم، ذلك أن الحضارة الفارسية كانت معروفة للعرب زمن الجاهلية وقد كان من بلاد الفرس حركة أدبية وعلمية وفلسفية كبرى كما ذكرنا آنفاً اتت مع قيام السلالة الساسانية وبلغت ذروتها في عهد كسرى انو شروان. وقد جمع ملوك الفرس مدى العصور كثيراً من خزائن الكتب في مختلف فروع المعرفة.

ويعتبر ازدشيربابك من أشهر ملوك الفرس وأكثرهم تشجيعاً للعلم وحباً للعلماء وجمعاً للكتب، ذلك أن هذا الملك الذي حكم بين سني ٢٢٦ و ٢٤١ م، أرسل في طلب الكتب من الهند والروم والصين[2] وقد فعل نفس الشيء خلفاؤه من بعده وخاصة كسرى انو شروان الذي شجع العلم والأدب والجأ إلى بلاده العلماء اليونانيين وجمع مكتبة فائقة في جنديسابور وغيرها من مراكز العلم.

---

(١) تومبسون، ج، و، **المكتبة في العصور الوسطية**، نيويورك، شركة هافنر للنشر، ١٩٥٧م، ٣٤٨.

(٢) امين، أحمد، **ضحى الإسلام**، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٥٢م، ١٧٦.

مما يعزز هذا الرأي ما ذكره المسعودي من أنه استعان بكتاب منقول عن الفارسية يبحث في تاريخ الفرس القدماء وفي العلوم عندهم كان فيما مضى من الأيام أحد كتب المكتبة الملكية الفارسية واخذ وقت الفتوح الإسلامية كغنيمة ثم نقل إلى العربية(١).

وعَزا المؤرِّخون ظهورَ المكتبات الأولى إلى الحضارات الأولى في بلاد الرافدين وأرض النِّيل؛ حيث وُجِدَت بها وثائقُ مكتوبة على الألواح الطينيَّة في كلٍّ من بابل ونينوى بالعراق، وأشهَر مكتبة هي مكتبة "آشور بانيبال" التي كانت دارًا لحفظ السجلات والمحفوظات؛ كما أنَّ المصريين القدماء أسَّسوا مكتبات عديدة، منها: مكتبة رمسيس، ومكتبة أتفو، وساعدَ في ذلك أنَّ مصر كانت مصدرَ مادَّة الكتابة في القديم، فكان يُعتمَد في ذلك على البردي.

وأمَّا في عصر اليونان فقد بدأ التقدُّم الفِعلي للمكتبات وتَزامنَ مع الفترة التي شهدَت نشاط المفكِّرين والفلاسفة؛ أمثال أرسطو وأفلاطون، فأسَّس بطليموس سوتر – أولُ ملوك أسرة الإسكندر الأكبر – في مصر مكتبةَ الإسكندرية، وهو أَعظم وأَشهر حدَث في تاريخ المكتبات؛ من حيث أنظمةُ تَصنيفها وخدماتها.

ولقد تأثر المسلمون في حضارتهم وثقافتهم وجمعهم كتبهم بالثقافة اليونانية في مراكزها الكبرى مباشرة وذلك في سورية ومصر، وقد اتصل المسلمون أول ما اتصلوا بالفكر الإغريقي عن طريق مدرسة الإسكندرية هذه وكان لتعاليمها نفوذ عظيم ومهم في التفكير الإسلامي وفي الفلسفة الإسلامية بشكل خاص، وكذلك الحال بالنسبة للطب والفلك وغيرهما من فروع العلم، وقد سمع العرب ولا شك بمكتبة الإسكندرية الشهيرة التي أسسها بطليموس الأول سوثر مؤسس السلالة، وغذاها وطورها من بعد ابنه وخليفته بطليموس فيلادلفوس الذي جعل مكتبة الإسكندرية أكبر معهد أكاديمي في العالم القديم.

إن المسلمين عرفوا مكتبة الإسكندرية من العهود الأولى، ويبدو لنا أن الخلفاء الأول ولاسيما المأمون الذي حاول أن يجمع في مكتبة بيت الحكمة في بغداد أكبر عدد من الكتب وأشهر

---

(١) ماكينسن، ر، س، خليفة، **تاريخ المكتبات الإسلامية**، المجلة الأمريكية للغات السامية وآدابها، المجلد ٥٢، ٣٠.

العلماء في عصره وبعث البعوث في سبيل استجلاب الكتب وتعريبها، كانوا مقلدين مكتبة الإسكندرية والنموذج الذي ضربه لهم ملوكها.

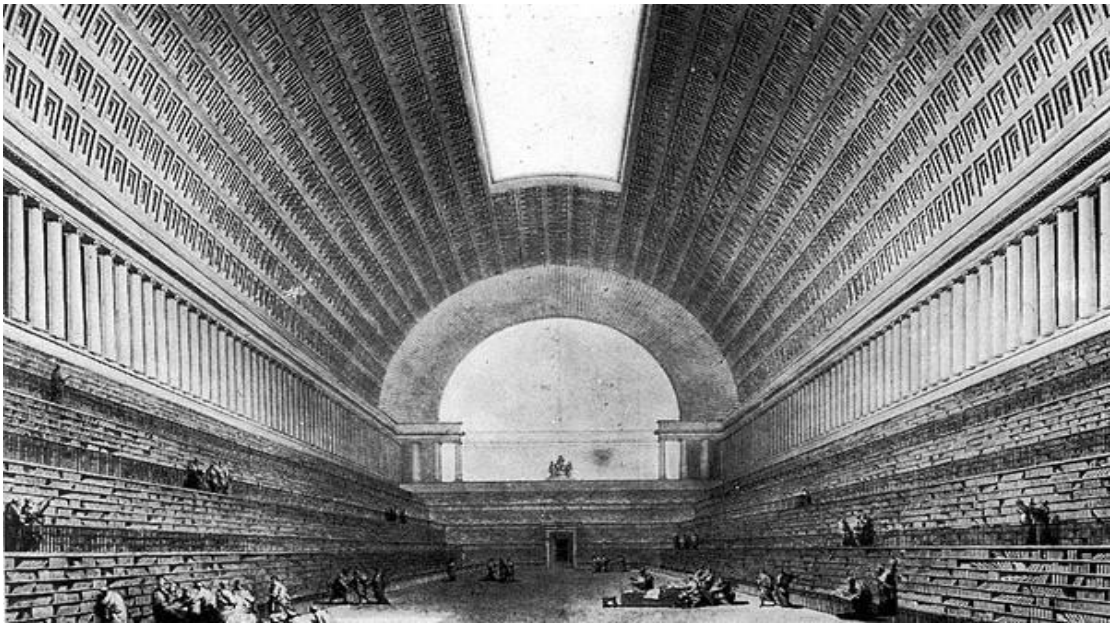

الشَّكل (١) : لوحة تظهر فيها صورة مكتبة الإسكندرية، والتي تأسسَت في عهد الإسكندر الأكبر، عمر السنوي الخالدي[١]

الشَّكل (٢) : صورة حديثة لمكتبة الإسكندرية من الداخل، عمر السنوي الخالدي[١]

(١) انظر : عمر السنوي الخالدي، **المكتبات في العصر الإسلامي : نشأتها ونماذج من تاريخها**، في الموقع : (www.alukah.net/culture).

كذلك سمع المسلمون الأوائل على الأغلب، بالمكتبات اليونانية التي كانت موجودة في سورية زمن الفتوح ذلك انه كانت توجد مكتبة شهيرة في مدينة القدس.

إن المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات والتي يسميها البلدانيون المسلمون باسم الجزيرة كانت مركزاً كبيراً من مراكز الفكر اليوناني الهلينستي السرياني وكان فيها نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم السريانية واليونانية وأشهرها مدارس الرها وقنسرين ونصيبين وحران وكان يتبع هذه المدارس مكتبات، وقد غذت هذه المدارس والمراكز العالم الإسلامي بسيل لا ينقطع من النقلة والأطباء والفلاسفة منذ عهد المنصور العباسي حتى عهد المتوكل وما بعد.

وقد ذكروا أن الفرس في حملتهم على مصر واليونان كانوا يحملون معهم بعض الكتب وهم عائدون من الغزو[٢]، ويمكن القول بأن العرب المسلمين بعد أن استقروا في بلاد الرافدين وبلاد سورية ومصر تأثروا بالحضارات الموجودة آنذاك وبالتقاليد العلمية السائدة، وهذا أمر طبيعي ولا غبار عليه ولا سيما أذا تذكرنا أن الشرق هو مركز الحضارات وقد بدأت به أقدم الحضارات الإنسانية وأعرقها وفيه وجدت أقدم المكتبات في العالم قبل وجودها في الغرب بألوف السنوات. فمكتبات معابد مصر وبلاد الرافدين شهيرة ولعل أشهر مكتبة آشور بانيبال التي حوت ٦٠٠ ألاف لوحة فخارية من نينوى عاصمة الإمبراطورية.

---

(١) انظر : عمر السنوي الخالدي، **المكتبات في العصر الإسلامي : نشأتها ونماذج من تاريخها**، في الموقع : (www.alukah.net/culture).

(٢) أمين، أحمد، **المصدر السابق**، ٦٠/٢.

الشَّكل (٣) : مكتبة آشور بانيبال الملَكي، نِسبة إلى آخِر وأشهَر ملك من ملوك الإمبراطورية الآشورية في العراق، عمر السنوي الخالدي[١]

(١) انظر : عمر السنوي الخالدي، **المكتبات في العصر الإسلامي : نشأتها ونماذج من تاريخها**، في الموقع : (www.alukah.net/culture).

ثالثاً : نشأة المكتبات وتطورها في الإسلام :

حض الإسلام معتنقيه على العلم والتعلم، إن هذا التوجيه نحو النور والعلم والتعلم لا مثيل له في تاريخ البشرية قديماً وحديثاً. فقد حض وحث القرآن الكريم المسلمين والمؤمنين على التعلم ومدح العلم والعلماء في أكثر من عشرة مواضع، فقد افتتح رب العزة والجلال وحيه للرسول الكريم بقوله: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم"(١). وكذلك قال جل ثناؤه: "ن، والقلم وما يسطرون"(٢). وكذلك قال تعالى: "انما يخشى الله من عباده العلماء"(٣). وقال: "يرفع الله الذين آمنوا والذين اوتوا العلم درجات"(٤). وقال عليه الصلاة والسلام : "طلب العلم فريضة على كل مسلم" وفي رواية أخرى "ومسلمة"(٥).

والأحاديث الشريفة الدالة على فضل العلم والتعلم كثيرة وكلها مصابيح تضيء للمسلمين معالم الطريق، إذ جعل الفداء من الأسر لكل أسير من أسرى مشركي قريش أن يعلم عشرة صبيان المدينة القراءة والكتابة.

إن هذا الحب العظيم للكتب كان نتيجة للتدوين والنقل والتأليف الذي تم منذ ظهور الإسلام حتى القرن الثاني للهجرة، وهو في ذات الوقت كان أحد الدوافع الأساسية للتأليف والنقل والتدوين فهو علة ومعلول كما يمكن أن نرى.

إن النهضة العلمية التي بدأها الإسلام وتبناها المسلمون كانت هي السبب الأعظم في اهتمام المسلمين بالكتب والمكتبات، لأن الكتاب كما لا يخفى وعاء المعرفة، ولكن المهم في الأمر هو أن المسلمين لم يكونوا مقلدين حرفيين وإنما كانوا مبتدعين ومبدعين في اقتباسهم فنون الحضارة، والإسلام العظيم حض على التبادل الثقافي والتبادل الحضاري وهو يحسن العطاء كما يحسن الأخذ والناحية البارزة العظيمة في الإسلام هي احترام الفكر واحترام الكلمة سواء كانت

---

(١) العلق، ١-٥.

(٢) القلم، ١.

(٣) فاطر، ٢٨.

(٤) المجادلة، ١١.

(٥) الطبراني، وذكر أن رجاله رجال الثقات.

ملفوظة أو مكتوبة وعدم هدم الحضارات السالفة بل تبنيها وتنقيتها والبناء عليها والزيادة فيها لخدمة الإنسانية جمعاء.

ظهرت المكتبات في الإسلام وتطورت نتيجة لانتشار العلم والمعرفة في العالم الإسلامي، فالمكتبات في الإسلام هي كائنات حية انبثقت عن المجتمع الذي وجدت فيه نتيجة لتطوره وحاجته إليها وهي في الوقت نفسه ساعدت كل المسعدة على تطور هذا المجتمع ودفعه في طريق الرقي والنجاح والفلاح.

إذاً فالمكتبات الإسلامية مرآة تنعكس فيها حياة المسلمين وتظهر فيها هذه الحياة واضحة صافية ومشرقة في جميع جوانبها، كما أن المكتبات هي نفسها نتاج تفاعل هذه الحياة، ولذلك فإن هذه المكتبات مرت كالمجتمع الإسلامي في أدوار حضانة ونمو وأدوار ازدهار ونضج وأدوار انحطاط وتقهقر، ولسنا من الذين يؤمنون بتقسيم التاريخ إلى أدوار تحددها وتفصل بينها سنوات محددة فذلك ليس من التاريخ في شيء، وإنما يتضح أن المكتبات في الإسلام مرت في أدوار ثلاث :

الدور الأول : هو دور الحضانة.

الدور الثاني : هو دور النضج والنمو وبلوغ الأوج.

الدور الثالث : هو دور الانحطاط والتقهقر.

ويمكن تحديد القرن الأول الهجري بشكل عام كفترة للحضانة، والقرون الخمسة التالية الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس وحتى قسماً من السابع دور النضج والازدهار، وأما عصر الانحطاط فيبدأ من أواخر القرن السابع ويستمر حتى مطالع العصور الحديثة.

لقد اهتم الخلفاء بتأسيس المكتبات العامة وجمعوا فيها الكتب العربية والفارسية والمترجمة عن اليونانية والفارسية، كما أنشوا المكتبات في المدارس والمساجد، ولم يكن هذا غريبًا لأن الإسلام حض على العلم، واستخدم العقل في أمور الحياة فقال تعالى : " هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون "، وقد زاد من هذه النهضة العلمية والثقافية استخدام الورق في الكتابة وأعطوا الحبر ألوانا مختلفة وزخرفوا وجوه الكتب وذهبوها، ونشطت حركة التدوين والتأليف نشاطا لم يعهده التاريخ إلا في العصر الحاضر، ونظرا لاهتمام المسلمين بالقرآن الكريم وتدوينه وضعوا النقط والشكل للحروف منعاً للحن في القرآن ووضعوا قواعد اللغة ، فقد قام أبو الأسود الدؤلي بوضع

النقاط على الحروف نقطة فوق الحرف للفتحة ، ونقطة تحته الكسرة ، ونقطة على خط استواء الكتابة للضمة، ونقطتان أمام يدي الحرف على خط استواء الكتابة للتنوين واهمل السكون، ثم جاء نصر بن عاصم الليثي ونقط الحروف فجعل للباء نقط والثاء نقطتين والجيم نقطة في بطنها ثم وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي الشكل فوضع الضمة والفتحة والكسرة والتنوين وحل أشكال النطق(١).

وبازدهار حركة التأليف والترجمة وخاصة في بغداد عاصمة العباسيين ظهر الاهتمام بالكتاب وازدهرت هذه المكتبات تبعاً لتزايد أعداد الكتب وشغف الناس الشديد بالقراءة . وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه النهضة العلمية إلى جمع الكتب والمؤلفات وتكوين المكتبات الخاصة ببعض الأفراد وقد كانت في مجموعها صغيرة ولكن مكتبات الخلفاء وكبار رجال الدولة ما لبثت أن تحولت إلى مكتبات عامة لخدمة طوائف معينة من القراءة . ولقد أوصى بها أصحابها أن تحفظ في المساجد والمدارس حفظا دقيقاً . وكذلك فإن أساتذة معاهد العلم أهدوا مؤلفاتهم ومكتباتهم الخاصة إلى معاهدهم التي كانوا يدرسون فيها(٢).

إن تاريخ المكتبات في الإسلام يرتبط ارتباطاً وثيقا بالتاريخ العربي الإسلامي، فالمعروف إن العرب قبل الإسلام عاشوا في الجزيرة العربية الإسلامية أحقاباً طويلة وهم في شبه عزلة عن العالم رغم اتصالاتهم المحدودة مع الروم والفرس والأحباش عن طريق التجارة ، وبشكل عام كانت حياتهم بدوية متنقلة أما علومهم فكانت تتناسب ومتطلبات حياتهم، ولم يهتم العرب قبل الإسلام بالتدوين، فقد اعتمدوا على الذاكرة في حفظ ونقل إنتاجهم الفكري، وبالتالي لم يكن عند العرب قبل الإسلام سجلات مكتوبة، بحيث لا يمكن الحديث عن شيء اسمه " مكتبة " ويمكن إن يعزى ذلك إلى الأمية وعدم توافر مواد للكناية، بالرغم من ذلك فان قسماً منهم عرف الكتابة وكتب على عظام الحيوانات وسعف النخيل والحجارة إلا أنه لم يصلنا شيء من ذلك(٣).

---

(١) عبدالله اسماعيل الصوفي، **المكتبات وخدماتها**، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان الأردن، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، عدد الصفحات ١٦٦، ٦٥.

(٢) حسن رشاد، **المكتبات ورسالتها**، دار الفكر العربي، ط٣، د.ت، عدد الصفحات ٣٨١، ٣١.

(٣) د: عمر أحمد همشري ، ود: ربحي مصطفى عليان، **أساسيات علم المكتبات والتوثيق والمعلومات**، الأردن، عمان، مطابع جريدة الأسواق، ط١، ١٩٨٨م، عدد الصفحات ٣٠٤ ،١٣.

لقد كان القرآن الكريم ولا يزال فتحا جديد في تاريخ المعرفة الإنسانية ، فهو قد رفع العلم والعلماء إلى أسمى منزلة ، وأقسم الله في محكم آياته بالكتاب وبالقلم وما يسطرون ، كما حض القرآن على القراءة والتعليم في أول سورة نزلت على الرسول الأمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ومن هنا فليس بغريب أن توصف الحضارة العربية الإسلامية بأنها كتب ومكتبات، وإذا كان المصحف الشريف هو أول كتاب ظهر في لغة العرب ، فقد بدأت حركة التأليف منذ منتصف القرن الأول الهجري، وشهد القرن الثاني ظهور الكتب وحركة تدوين التراث والتاريخ ، متأثرة في ذلك بطريقة كتابة الحديث، أي القرنان الهجريان الثالث والرابع رأينا ازدهار حركة التأليف خصوصاً بعد إقامة صناعة الورق في بغداد، ونظرا لحب المسلمين الأوائل للكتب والقراءة والعلم ، وكنتيجة لاتصالهم بالثقافات الأجنبية التي وجدوها في البلاد التي فتحوها، انتشرت عندهم أنواع عدة من المكتبات[1].

إن تاريخ المكتبات جزء لا يتجزأ من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية والفكر الإسلامي : ارتقت بارتقائه وساعدت على ازدهاره ونضجت معه وانحطت بانحطاطه، ولاغرور في ذلك فالإسلام العظيم دعا إلى المعرفة والى التعلم والى إنارة العقول بالقراءة والكتابة ، وان أول ما أوحى به الله سبحانه وتعالى إلى عبده ورسوله (محمد صلى الله عليه وسلم) " اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم .

إن تاريخ الكتب عند المسلمين مهم جدا وأساسي لمعرفة تطور المعرفة الإنسانية عندهم ، ذلك أنه لم تتفوق على المسلمين أمة من الأمم في حبهم للكتب والعناية بالمكتبات والمعرفة عامة . والمكتبات من أهم وسائل نشر المعرفة على مدى العصور وقد انتشرت المكتبات في الإسلام انتشارا واسعاً ، وهي وان كانت ثمرة من ثمار الحضارة العربية الإسلامية إلا أنها تعكس في تاريخها هذه الحضارة التي كانت هي نفسها ثمرتها وأن الأطوار التي مرت بها هي أطوار الحضارة الإسلامية بشكل عام . هذا ويعد العصر العباسي عصر الإبداع في الحضارة الإسلامية وفيه نضجت الحضارة الإسلامية وأينعت وآتت أكلها وزخرت البلاد الإسلامية بالعلماء والتلاميذ والعاهد والمدارس . وكان للمكتبات من ذلك نصيب موفور إذ تبارى الخلفاء والأمراء

---

(١) د. أحمد بدر، **المدخل إلى علم المكتبات والمعلومات**، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٥م، عدد الصفحات ٤٤٨، ٣٣.

والأفراد والوزراء والحكام والسراة في العناية بالمكتبات وفي تشجيعها ، ونجد في هذا العصر جميع أنواع المكتبات[1].

والتفصيل على النحو التالي :

أ- نشأة المكتبات في العصر النبوي :

لقد كان - إبَّان الدعوة الإسلاميَّة في عهد رسول الله ﷺ، وفي زمن تنزُّل القرآن - طائفةٌ من الصَّحابة وُكِّل إليهم كتابة القرآن وتدوينه، وعُرفوا بكُتَّاب الوحي، وكان منهم : أُبَيُّ بن كعب وعلِي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت وغيرهم ﷺ، ولكنَّه كان مدوَّنًا في صحائفَ متفرِّقة[2].

ب- تطور المكتبات في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ :

جمعت صحائفَ القرآن المتفرِّقة إلَّا في عهد الخليفة أبي بكر ﷺ خوفًا عليه من الضياع، وقد وردَ عن كثير من الصَّحابة ﷺ أنَّهم كانوا يَحتفظون بصحائف وكتبٍ عندهم.

ثمَّ تطوَّر تَدوين القرآن وضبْط رسْمِه في عهد عثمان بن عفان ﷺ؛ حسْمًا لمادَّة الخلاف بين الأمَّة حول القراءات القرآنيَّة، وكان هذا التدوين هو أَضخم وأدقَّ عمليَّةِ تدوين تمَّت في الصدر الأول للإسلام، ثمَّ انتشرَت نُسخ القرآن، فقد نسخت خمسة مصاحف أرسلت للكوفة والبصرة ودمشق ومكة والمدينة وأبقى عثمان لنفسه مصحفاً عرف بالمصحف الامام، ومنذ ذلك الزمن حفظ النص الأصلي للقرآن الكريم بشكل لا مثيل له في تاريخ الإنسانية جمعاء، وذلك مصداقاً لقوله جل شأنه: "**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**"، كما وجدت مدوَّناتٍ متفرِّقة للأحاديث النبويَّة التي كانت في أول أطوارها[3].

وممَّا يُذكَر من مدوناتٍ في العصر الأول - وبعضُه من موروث العصر الجاهلي - تلك المعاهَدَات والرسائل، والوثائق والأنساب التي احتفظَت بها القبائل وبعضُ الإمارات.

---

(١) (١) سعيد أحمد حسن، **أنواع المكتبات في العالمين العربي والإسلامي**، الأردن (عمان)، دار الفرقان، ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ، ط١، عدد الصفحات ٩٣، ٢.

(٢) انظر : القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، ٤٧٥/٢.

(٣) انظر : القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، **المصدر السابق**، ٤٧٥/٢.

وبشكلٍ عام، فليس هناك ما يستحقُّ أن يوصَف بأنَّه مكتبة في ذلك العهد، إلَّا ما كان من الاحتفاظ ببعض المدوَّنات من النُّسَخ، سواء في البيوت أو المساجد ونحو ذلك[1]، من أشهَر المكتبات في هذا العصر: مكتبة الصَّحابي الجليل عبدالله بن عباس ﷺ التي استغرق بعضُها حِمْلَ بعير، وكذلك عروةُ بن الزبير ﷺ، وأيضًا معاوية بن أبي سفيان ﷺ الذي كانت لديه دَفاترُ فيها سِيَر الملوك وأخبارهم.

ج- تطور المكتبات في العصر الأموي ٤١-١٣٢هـ/٦٦١- ٧٤٩م :

وجد في العصر الأموي مؤلفون ووجدت فيه كتب ومكتبات ووجد فيه معربون ونقلة ووجدت فيه حركة علمية هامة. ذلك أن من المستحيل أن تكون العلوم قد نبتت من لا شيء في العصر العباسي فهذا شيء يخالف طبيعة الأشياء، فقد كان القوم يكتبون زمن الأمويين على القراطيس أي الطوامير المصنوعة بمصر من لب الردى، ولقد كان اختراع الورق أو الكاغد كما يسميه العرب عاملاً حاسماً في نشر المعرفة وغزارة المؤلفات فيه انتهى عهد فجر المكتبات الإسلامية وبدأ عهد ازدهار الكتب والمكتبات في الإسلام.

فمن جهة النقل من اللغات الأجنبية إلى اللغات العربية فقد تم ذلك الأمر تحت إشراف خالد بن يزيد بن معاوية الذي عجز عن تحصيل الخلافة والارتقاء إلى عرشها فانتقل إلى العلم وابتدأ ينقل الكتب من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية. ذلك أنه أوجد ما يمكن أن نسميه أول مكتبة علمية خاصة في الإسلام، يذكر صاحب الفهرست أن خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان وكان فاضلاً في نفسه وله همة ومحبة للعلوم، خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقطبي إلى العربي وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة، ثم نقل الديوان[2].

---

(١) انظر : عمر السنوي الخالدي، **المكتبات في العصر الإسلامي : نشأتها ونماذج من تاريخها**، في الموقع : (www.alukah.net/culture).

(٢) ابن النديم، **كتاب الفهرست**، ٣٣٨.

كما يذكر أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ) وجد الكتاب في خزائن الكتب فاستخار الله في إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به وبثه في أيديهم[١].

إن الدواوين نقلت من اليونانية إلى العربية في سورية زمن عبد الملك بن مروان ومن الفارسية إلى العربية في العراق وما وراءه على يد الحجاج والي عبد الملك ومن القبطية إلى العربية في مصر على يد عبد العزيز بن عبد الملك والي مصر آنذاك.

هذا وإن التدوين قد تم قبل ذلك زمن عمر بن الخطاب ﷺ عندما أنشأ ديوان الجند وديوان الخراج، ورغم أن هذه الدواوين ليست مكتبات وإنما هي سجلات للاستعمال الرسمي إلا أنها أثرت في عقلية الفاتحين وعلمتهم ضرورة التدوين وفائدته، فكان بدء تدوين التاريخ على يد معاوية[٢].

ويمكن إجمال مميزات هذا العصر بأنه قد وضعت فيه جميع البذور الأولى للحضارة الإسلامية والكتاب الإسلامي والمكتبات الإسلامية، فقد دون في القرآن الكريم ووزع على الأمصار، وبدأ فيه جمع الحديث الشريف على يد عمر بن عبد العزيز وبدأ النقل من اليونانية والفارسية والقبطية إلى العربية كما فعل خالد بن يزيد وعمر بن عبد العزيز، وبدأت الدراسات الإسلامية الفقيهة المستندة إلى الحديث الشريف في الظهور، وجمعت فيه الأنساب والأشعار وظهرت المكتبات الخاصة، وافتتح عهد التدوين وتسجيل الحوادث التاريخية وكتابة التاريخ ولا سيما المغازي والسيرة النبوية وغزرت الكتب، بل لقد تأسست فيه أول مكتبة أكاديمية على يد خالد بن يزيد بن معاوية في المركز الذي أوجده من أجل النقل والتعريب.

كذلك أوجد عبد الملك الجمحي في مكة نادياً أدبياً اجتماعياً وألحق به مكتبة وجعل فيه دفاتر من كل علم وذلك في النصف الأول من القرن الأول للهجرة[٣]، وهذا الدور هو دور الحضانة في الحضارة الإسلامية.

---

(١) ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حيان الأندلسي، **طبقات الأطباء والحكماء**، ٦١.

(٢) كرد علي، محمد، **المصدر السابق**، ١/١٧١-١٧٢.

(٣) كرد علي، محمد، **الإسلام والحضارة العربية**، ١/١٧٦.

وفي هذا العصر وجد العلَّامة ابنَ شهاب الزُّهري الذي ملَأ الدنيا بمصنَّفاته وتآليفه، حتى قيل: إنَّه إذا جلس في بيته وضعَ كتبه حولَه، فاشتغل بها عن كلِّ شيء[1].

د- تطور المكتبات في العصر العباسي١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م :

العصر العباسي هو استمرار لسابقه الأموي حيث نضجت فيه الأمور بشكل أكثر وظهرت فيه بوادر الحضارة الإسلامية وعناصرها بشكل أوضح بكثير.

إن قسماً من الخلفاء العباسيين اهتموا بالموضوع هم أنفسهم وبلغ الأمر ذروته زمن المأمون، كذلك نشطت حركة التدوين والتأليف نشاطاً هائلاً وحفل العالم الإسلامي بالعلماء والبحاثة والمؤلفين الذين يكتبون ويؤلفون في جميع المواضيع، وكثرت المكتبات بشكل هائل وتنوعت أغراضها ووظائفها وزخر العالم الإسلامي بهواة جمع الكتب ومحبيها حتى أصبحنا نرى علماء بلغت كتبهم من الوفرة والكثرة أرقاماً خيالية، ومما ساعد على هذا التطور اختراع الورق الذي يعد من أكبر النعم التي اسداها المسلمون إلى العالم، واستدعى هذا بالتالي ظهور الوراقين وفتحهم الدكاكين الكثيرة وازدهار تجارة الكتب.

أما العهد الذهبي للنقل من سائر اللغات إلى اللغة العربية فهو عصر الرشيد وابنه المأمون. وقد أسس الخليفة هارون الرشيد مؤسسة كبرى للقيام بهذا العمل الجليل وهي مؤسسة كان عملها أول الأمر مركزاً للنقل والملازمة كما يقول صاحب الفهرست ثم تطورت زمن المأمون وأصبحت مؤسسة علمية من الطراز الممتاز همها ترقية البحث والتجرد للدراسات العليا، ويمكننا أن نقول أن هذه المؤسسة المسماة باسم بيت الحكمة قد أصبحت زمن المأمون أكاديمية بالمعنى العلمي الدقيق للكلمة تحوي أماكن للدرس وأماكن لخزن الكتب وأماكن للنقل وأماكن للتأليف إلى جانب المرصد الفلكي والنشاط الفلكي الذي مارسته.

وللمأمون اختراعات كثيرة في مملكته منها أنه أول من محض منهم (يقصد الخلفاء العباسيين) عن علوم الحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها إلى العربية وشهرها وحل اقليدس ونظر

---

(١) انظر : عمر السنوي الخالدي، **المكتبات في العصر الإسلامي: نشأتها ونماذج من تاريخها**، في الموقع : (www.alukah.net/culture).

في علوم الأوائل وتكلم في الطب وقرب أهل الحكمة[١]. ورغم أننا نقر ابن الطقطقي على رأيه في المأمون إلا أننا لا نقره على قوله أن المأمون أول الخلفاء العباسيين الذين محضوا عن علوم الحكمة وحصلوا عليها فقد سبقه في ذلك المنصور والرشيد، فقد كادت الدولة العباسية أن تضاهي الدولة الرومية أيام اكتمالها وزمان اجتماع شملها[٢]، وكان الرشيد يحرز النصر دائماً في هذه الصوائف ويجعل من بين شروط الصلح الحصول على الكتب التي كان يريدها، ولم يكن الرومان يبدون كبير معارضة للرشيد في الحصول على هذه الكتب[٣].

كان للمأمون علامة خاصة توضع على غلاف الكتاب كما تفعل معظم الجامعات والمكتبات الكبرى في أيامنا هذه. يقول ابن أبي أصيبعة وكان كاتب حنين رجلاً يعرف بالأزرق وقد رأيت أشياء كثيرة من كتب جالينوس وغيره بخطة وبعضها عليه تنكيت بخط حنين بن اسحق باليوناني وعلى تلك الكتب علامة المأمون[٤].

وقد جعل المأمون سهل بن هارون كاتباً على خزائن الحكمة وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرص[٥]، إن بيت الحكمة هذا كان أكاديمية علمية بالمعنى الصحيح ولا سيما إذا تذكرنا أن أولاد شاكر المعروفين باهتماماتهم الفلكية والرياضية كانوا يعملون فيه، وهي مقسمة إلى أقسام متعددة منها قسم للنقل، وهذا بدوره مقسوم إلى أقسام لليونانية والفارسية والهندية والسريانية... ومكان للتأليف ومكان للبحث الفلكي والعلمي والرصد...الخ وقد وضع الجميع تحت إشراف عالم أو عالمين، وهذا ما يفسر ورود اسم كاتبين أو أكثر على أنهما صاحبا بيت الحكمة. وقد تولى منصب هذه الأكاديمية عدد من العلماء أشهرهم سهل بن هارون.

---

(١) ابن الطقطقي، **الفخري في الآداب السلطانية**، ١٧٨.

(٢) صاعد الأندلسي، **طبقات الأمم**، ٤٧.

(٣) الرقوقي، محمد عاطف، والتوانسي، أبو الفتوح محمد، **الخوارزمي العالم الفلكي الرياضي**، ٧٨.

(٤) ابن ابي أصيبعة، **طبقات الأطباء**، ج٢، ص: ١٤٣.

(٥) أمين، محمد، **ضحى الإسلام**، ٦٥/٢.

تحوي تلك الأكاديمية فريقاً من المجلدين همهم تجليد الكتب وحفظها حتى لا تتأثر بكثرة الاستعمال وقد حفظ لنا ابن النديم اسم أحد مجلدي خزانة الحكمة فيذكر ابن ابي الحريش وكان يجلد في خزانة الحكمة للمأمون(١).

قد سميت ببيت الحكمة أو خزانة الحكمة ولم تسمَّ باسم خزانة الكتب وذلك للإشارة إلى طبيعة الكتب التي كانت تجمع فيها والتي كانت تعرب هناك إذ أن الحكمة كانت مرادفة للفلسفة وخاصة الفلسفة اليونانية، وأما بيت الحكمة فيغلب على الظن أنه استمر موجوداً طوال العهد العباسي وأنه دمر فيما دمر عندما احتل المغول بغداد سنة ٦٥٦هـ. وذهبت معالمها واعفيت آثارها(٢).

وكذلك أمر المأمون الفراء ان يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع عن العرب... وصير له الوراقين وألزمه الأمناء والمنفقين فكان الوراقون يكتبون حتى صنف كتاب الحدود وأمر المأمون بكتبه في الخزائن، وبعد أن فرغ من ذلك خرج الناس وابتدأ يملي كتاب المعاني وكان وراقيه سلمه بن عاصم وأبو النصر بن الجهم(٣). وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصليح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران(٤).

وقد أسس أول مصنع لصنع الورق في مصر من عجينة الكتان سنة ٨٠٠ م وقد اشتهرت الأندلس خاصة بصنع الورق وكان مركزه مدينة شاطبة التي كانت تصدره إلى أوروبا وأول مصنع للورق أسس في الأندلس سنة ٩٥٠ وفي شمال افريقيا حوالي القرن الحادي عشر. وكانت معامل إسبانيا خاصة تنتج جميع أنواع الورق بما فيها الابيض والملون(٥).

وهؤلاء هم الوراقون الذين لعبوا دوراً مهماً جداً في تاريخ الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية، ذلك أن الوراقين آنذاك كانوا هم الناشرين للكتب يقومون بنسخها وتجليدها وتصحيحها وبيعها وعرضها في الواجهات والاتجار بها، وقد اشتغل بالوراقة علماء أجلاء وأصبحت الوراقة

---

(١) ابن النديم، **المصدر السابق**، ٧-٨.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ٤٦٦/١.

(٣) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ١٢/٢٠.

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر**، القاهرة، ٣٥٢/١.

(٥) حتي، فيليب، **تاريخ الرب من أقدم العصور حتى الآن**، لندن، ١٩٥٦م، ٣٤٧.

مهنة راقية وانتشرت دكاكين الوراقين في طول البلاد وعرضها وأصبح للمؤلفين الشهيرين وراقون يختصون بهم وأصبحت دكاكينهم أماكن ثقافية يرتادها الأدباء وتعقد فيها المناظرات وتدور فيها المناقشات بحيث يمكن تشبيهها بيسر بالصالونات الأدبية التي انتشرت في أوروبا وخاصة فرنسا ابان القرن الثامن عشر.

وقد وجدت دكاكين الوراقين في الدولة العباسية منذ أوائل أيامها(١)، وذكر اليعقوبي في كتابه البلدان أن عدد حوانيت الوراقين في ربض وضاح مولى أمير المؤمنين من ضواحي بغداد بلغ أكثر من مائة دكان(٢)، تعرض فيها الكتب للبيع وأحياناً تدور في دكاكينها المناظرات(٣)، كذلك يذكر سوق الوراقين القديمة التي كانت سوقاً للوراقين ثم أصبحت مكاناً لصبغ الجلود(٤).

وأما الوراقة فقد كانت مهنة محترمة اشتغل بها علماء أجلة مؤلفون مرموقون منهم ابن النديم صاحب كتاب الفهرست الذي ألفه سنة ٣٧٧هـ، ويذكر ابن خلكان سمساراً للكتب في القاهرة في القرن السابع الهجري كانت داره ندوة أدبية ذلك هو أبو الفتوح.

ولقد وجدت في هذا العصر أغلب أنواع المكتبات في الإسلام ففيه وجدت المكتبات الملحقة بالمساجد والجوامع، وفيه وجدت المكتبات الخلافية والمكتبات الخاصة والمكتبات العامة ومكتبات الأوقاف ومكتبات البحث والدرس أي مما اسميناه بالمكتبات الأكاديمية، ومكتبات المشافي وغيرها من أنواع المكتبات الأخرى.

ولقد ازدهرَت حركة التَّدوين في هذا العصر، ونشط التأليف بشكل متحضِّر ومنهجيٍّ، وبالتالي انتشرَت المكتبات واتَّسعَت، ودخلَت بعضها في نوادرِ حكايات التاريخ.

وأشهر هذه المكتبات على الإطلاق: "دار الحكمة"، أو "بيت الحكمة"، وهي أول مكتبة أكاديميَّة وعامَّة تُقام في البلاد الإسلاميَّة، ويُرجِع المؤرِّخون أوَّليةَ تأسيسها إلى الخليفة هارونَ الرشيد، الذي ازدهرَت في عصره حركةُ التأليف والترجمة، والتي كان مقرها دار الحكمة، ترجمَت في هذه الفترة الكثيرَ من نفائس العلوم؛ من الفارسية واليونانية ولغاتٍ أخرى، وكانت حركةُ

---

(١) حتي، فيليب، **المصدر السابق**، ٤١٤.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واحج، **كتاب البلدان**، تحقيق دي غويه، لندن، ١٨٩٢م، ٢٤٥.

(٣) شلبي، أحمد، **تاريخ التربية الإسلامية**، ٤١.

(٤) المقريزي، **المصدر السابق**، ١٩٥/٢.

التَّرجمة هذه عظيمةً؛ حيث لم يَشهد مِثلَها التاريخُ من قبل؛ ممَّا حفظ للإنسانيَّة تراثًا قيِّمًا، بالإضافة إلى أنَّها كانت مقرَّ الدَّرْس والمطالعةِ والبحث، وكانت تُقام بها مناظرات ومناقشات.

وقد تردَّد إلى هذه المكتبة بحثًا وتأليفًا من المشاهير: الفيلسوف الكِنْدي، ومحمد بن موسى الخُوارزمي، وقد ضمَّت كتبًا من مختلِف العلوم؛ التراث الإسلامي، التراجم والسِّيَر، كتب الكيمياء، الفلك، الطب والجبر؛ واحتوَت على مَرصد فلَكيٍّ، وقد وصَفها "ديورانت" في كتابه "قصَّة الحضارة" بأنَّها مَجمع علمي، ومرصد فلكي، ومكتبة عامة.

ولا يجب أن نُهمِل الانعكاس الإيجابيَّ على الاقتصاد؛ لنشاط الحركة العلميَّة وشراء الكتب ونَسْخها، فقد ظهرَت مِهَنٌ جديدة؛ كالوِراقَة والنَّسْخ – التي هي بمثابة صناعة النشر اليوم – بفضل رَوَاج سوق الكتب، فقد غصَّت بغدادُ بدكاكين الورَّاقين الذين ينسَخون الكتبَ ويبيعونها للنَّاس، وقد اشتهرَت بغداد بعدَد مكتباتها؛ حيث يقال: إنَّها بلغَت ١٠٠ مكتبة، فأصبحَت بغدادُ قِبلةَ العلم آنَذاك.

وتعدُّ مكتبة بيت الحكمة أكبرَ مكتبات العصر العبَّاسي، ظلَّت الخِزانةُ قائمةً يستفيد منها الروَّاد والعلماء وطلَّاب العلم، حتى وقعَ استيلاء المغول على بغداد سنة ٦٥٦هـ؛ حيث نهَبوا وخرَّبوا، وألقَوا بالآلاف من المخطوطات في النَّهر، فأصبحَت مياه النَّهر سوداء من لون المِداد! وبذلك ضاع جزءٌ كبير من تاريخ وذاكرة الإنسانيَّة في هذه الواقعة ووقائعَ مشابهة[1].

---

(١) انظر: عمر السنوي الخالدي، **المكتبات في العصر الإسلامي: نشأتها ونماذج من تاريخها**، في الموقع: (www.alukah.net/culture). وانظر: "**المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربية**" ل. د. عز الدين إسماعيل، و"المكتبات في الحضارة الإسلامية"لـ. د. راغب السرجاني، و"المكتبات ودورها الحضاري في تاريخ الأمم" لـ .أحمد صالح بن الناصر، و"مفهوم المكتبة.. وتطورها التاريخي" لـ. د. لطيفة الكميشي.

الشَّكل (٣) : مكتبة بيت الحكمة العباسية ببغداد، عمر السنوي الخالدي[١]

الشَّكل (٣) : ساحة مكتبة بيت الحكمة في بغداد، عمر السنوي الخالدي[٢]

(١) انظر : عمر السنوي الخالدي، **المكتبات في العصر الإسلامي : نشأتها ونماذج من تاريخها**، في الموقع : (www.alukah.net/culture).

(٢) انظر : عمر السنوي الخالدي، **المكتبات في العصر الإسلامي : نشأتها ونماذج من تاريخها**، في الموقع : (www.alukah.net/culture).

الشَّكل (٣) : المدرسة المستنصرية ببغداد، وكان لهذه المدرسة مكتبة حافلة بأنواع الكتب وأُمَّهات المؤلفات، عمر السنوي الخالدي[١]

الفصل الثاني : تصنيف المكتبات في الإسلام :

ويشتمل على :

أولاً : المكتبات العامة.

ثانياً : مكتبات المساجد والجوامع.

ثالثاً : المكتبات الخاصة.

رابعاً : المكتبات الأكاديمية.

---

(١) انظر : عمر السنوي الخالدي، **المكتبات في العصر الإسلامي : نشأتها ونماذج من تاريخها**، في الموقع : (www.alukah.net/culture).

خامساً : المكتبات الخلافية.

سادساً : مكتبات المدارس.

سابعاً : مكتبات المشافي.

ثامناً : المكتبات المتنقلة.

تاسعاً : مكتبات الخانقاه.

عاشراً : مكتبات أخرى.

الفصل الثاني : تصنيف المكتبات في الإسلام :

عرفَت الحضارة الإسلاميَّة أنواعًا متعددة من المكتبات لم تَعرفها أيُّ حضارةٍ أخرى، ولقد انتشرَت هذه المكتبات في جميع أرجاء الدَّولة الإسلاميَّة؛ فوُجدَت المكتبات في قصور الخلفاء، وفي المدارس والكتاتيب والجوامع، وكما أنَّها وُجدَت في عواصم الإمارات فقد وُجدَت كذلك في القرى النائية، والأماكن البَعيدة؛ ممَّا يؤكِّد على تأصُّل حُبِّ العلم لدى أبناء هذه الحضارة، ومن جملة ما عرَفَته الحضارة الإسلاميَّة من مكتبات، ويُمكن تصنيف أنواع المكتبات :

أولاً : المكتبات العامَّة :

وهي مؤسَّسات ثقافية، يُحْفَظُ فيها تراث الإنسانيَّة الثقافي وخبراتها؛ وهي مفتوحة للجمهور على اختلاف أنواعه وأجناسه وثقافاته ليكون في متناول المواطنين من كافَّة الطَّبقات والأجناس،

والأعمارِ، والمِهَن، والثقافات؛ وكان من أمثلتها: مكتبة قرطبة التي أسَّسها الخليفةُ الأموي الحكَم المستنصر سنة (٣٥٠هـ/ ٩٦١م) في قرطبة[١].

وتعد المكتبات العامة هي المقياس الحقيقي والدقيق لرقي الشعوب والأمم، وان كثرتها وتوزعها وسهولة ارتيادها دليل على ثقافة الشعب وتعلمه وحبه للعلم، ذلك أن المكتبات الخلافية تعكس اهتمام الحكام أنفسهم بالثقافة، وهي للاستعمال الشخصي في الأعم، وإذا فتحت أبوابها فلفئة معينة من الناس، ولكن المكتبات العامة في الإسلام كانت ذائعة كل الذيوع منتشرة في أرجاء العالم الإسلامي من حدود الصين والهند شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً وشمالاً وقلما تخلو بلدة أو قرية أو ناحية من مكتبة عامة. وهذا طبعاً عدا مكتبات المساجد التي كانت ملحقة بها والمباحة للجميع وعدا مكتبات الأفراد ومكتبات الربط والمدارس والكتاتيب والمعاهد... ولا نرى فائدة كبيرة في تعداد المكتبات العامة التي حفل بها العالم الإسلامي آنذاك، ولكنا نريد أن نقول أن المكتبة العامة في الإسلام كانت عامة بالمعنى الحرفي للكلمة فلم يكن يمنع أحد من ارتيادها، وكان دخولها والمطالعة بها بالمجان، وكثير منها يقدم الورق والحبر وأدوات الكتابة، وكان في قسم كبير منها مرشدون يساعدون القراء في إيجاد المصادر والكتب التي يبحثون عنها[٢].

وقد ذكر ياقوت أن عدد المكتبات في مرو في زمانه (أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع) بلغ عشر خزائن بعضها في الجوامع وبعضها في المدارس وبعضها في الخوانق وبعضها في أبنية خاصة أي أنها مكتبات عامة، ولكن الميزة اليت تمتاز بها جميعها أن المطالعة فيها حرة والإعارة الخارجية فيها تكون في أغلب الأحيان بدون رهن[٣].

كذلك كان من عادة العلماء والوزراء والأغنياء أن يوقفوا بعد وفاتهم مكتباتهم على مدنهم، كما فعل الصاحب بن عباد ذا أوقف مكتبته على مدينة الري فأصبحت مكتبة عامة.

---

(١) انظر : عمر السنوي الخالدي، **المكتبات في العصر الإسلامي: نشأتها ونماذج من تاريخها**، في الموقع : (www.alukah.net/culture).

(٢) سعيد أحمد حسن، **أنواع المكتبات في العالمين العربي والإسلامي**، دار الفرقان، الأردن (عمان)، ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ، ط١، عدد الصفحات ٩٣، ٩١-٩٣.

(٣) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٣٦/٨.

أما مكتبة سابور بن اردشير فقد أسسها وزير بهاء الدولة البويهي سابور المار ذكره وسميت باسمه وكان ذلك سنة ٣٨٢هـ. يقول ابن تغرى بردى: "وفيها –أي سنة ٣٨٢هـ– ابتنى الوزير أبو النصر سابور بن اردشير داراً بالكرخ سماها دار العلم ووقفها على العلماء ونقل إليها كتباً كثيرة"[١]. ويحدد غيره مكاناً بشكل أدق فيذكر أنها تقع في محلة بين السورين[٢]. هذا ويطلق على هذه المؤسسة تسميتان مختلفتان، فابن الأثير يذكرها باسم خزانة الكتب على حين أن غيره كياقوت وابن تغرى بردى يذكر أنها باسم دار العلم، وهي ترد في رسائل أبي العلاء المعري باسم دار العلم. وقد وقف الوزير أوقافاً كثيرة غنية مجزية على الدار كفت للإنفاق على المكتبة طوال مدة حياتها ولم تحتج لأحد طوال هذه الفترة. وقد بلغت عدد كتبها ١٠٤٠٠ مجلد من أصناف العلوم، منها مائة مصحف بخطوط بني مقلة[٣]، وفيها عدد كبير من الكتب التي امتلكها رجال مشهورون وأغلب الكتب بخطوط أصحابها، وقد رد النظر في أمرها ومراعاتها والاحتياط عليها إلى رجلين من العلويين يعاونهما أحد القضاة[٤].

أما مكتبة بني عمار في طرابلس الشام فهذه أصبحت قصتها كالأساطير وبالغ الناس فيها على حين حاول آخرون التقليل من أهميتها. حكم بنو عمار قسماً من الساحل السوري في القرن الخامس الهجري واستكروا في حكمه حتى الحروب الصليبية، وقد جعلوا طرابلس الشام عاصمتها، وقد ازدهرت الزراعة والتجارة والصناعة في عهدهم ونشطت الحياة الاقتصادية حتى قيل انه كان في طرابلس نحو أربعة آلاف نول نسيج[٥].

ثانياً : مكتبات المساجد والجوامع :

ويُعَدُّ هذا النَّوع من المكتبات مع المكتبات الخاصة الأوَّلَ في الإسلام؛ حيث نشأَت المكتبات في الإسلام مع نَشْأة المساجد، ولكن يبدو أن العادة جرت من أقدم عصور الإسلام أن يودع الناس في المساجد عدداً من نسخ القرآن الكريم وغيره من الكتب الدينية والنافعة كوقف

---

(١) ابن تغرى، **النجوم الزاهرة**، ٨٨/٤.

(٢) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ٨٨/٨.

(٣) ابن الأثير، **المصدر السابق**، ٨٨/٨ .

(٤) ميتز، آدم، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ٢٤٩/١.

(٥) البستاني، بطرس، **دائرة معارف البستاني**، ٢٤٣/١١.

لفائدة المطالعين والمصلين، ومن أمثلتها: مكتبة الجامع الأزهر، ومكتبة الجامع الكبير في القيروان[١].

كانت الدراسة على مختلف مراحلها وبأغلب فروعها كانت تتم في المسجد والجامع، وذلك حتى زمن قريب من عهدنا الحاضر أمكننا أن ندرك أهمية المكتبة الملحقة بالمساجد، وأن أغلب المساجد وخاصة الهامة منها كانت ولا تزال تمتلك مكتبة خاصة، وهذه المكتبة لا تحتوي كتباً دينية فقط وإنما بالإضافة إليها كتباً فلسفية وعلمية[٢]، وقد كانت تدرس في المساجد جميع أنواع العلوم باستثناء الطب[٣]، وقد ازدهرت بعض المساجد المهمة وأصبحت مركزاً عقلياً من أكبر مراكز التعليم والتدريس جذب إليه الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكانت تعقد الحلقات في المساجد للدراسة والمناظرة كما كان يحدث في جامع بني أمية في دمشق وجوامع مكة والمدينة وفي جامع الأزهر في القاهرة وفي جامع المنصور في بغداد وفي جوامع قرطبة وطليطلة، ولقد كانت للحلقات التي تعقد في جامع طليطلة شهرتها وأهميتها وجذبت إليها الطلاب المسلمين والنصارى على السواء حتى لقد كان يقصدها طلاب نصارى من جميع أنحاء أوربا بما فيها انجلترا واسكوتلندا[٤].

وقد احتفظت طليطلة بمكانتها هذه بعد سقوطها بيد الإسبان سنة ١٠٨٥م حيث وجد فيها هؤلاء مكتبة غنية عامرة حافلة بالكتب في أحد مساجدها، وقد بلغت شهرة هذه المكتبة من حيث هي مركز للثقافة أقصى البلاد النصرانية في الشمال[٥]. وقد كانت هناك مجموعات ضخمة مهمة من الكتب في أغلب فروع المعرفة في كل من الحرم المكي والحرم المدني حيث غذاها كبراء المسلمين وسراتهم بالكتب مدى العصور. وكلنا يعرف الجامع الأزهر أقدم جامعة في العالم لا تزال في الوجود، يحتوي هذا الجامع ولا يزال مكتبة حوت ما لذ وطاب من ثمرات العقول. والشيء نفسه صحيح بالنسبة لجامع الزيتونة في تونس. ويبدو لنا أنه كان يوجد في بعض

---

(١) سعيد أحمد حسن، **أنواع المكتبات في العالمين العربي والإسلامي**، دار الفرقان، الأردن (عمان)، ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ، ط١، عدد الصفحات ٩٣، ٥.

(٢) آرنولد، سير توماس، **تراث الإسلام**، اكسفورد، مطبعة كلين، ١٩٣١م، ٣٣٦.

(٣) آرنولد، سير توماس، **المرجع نفسه**، ٣٣٦

(٤) آرنولد، سير توماس، **المرجع نفسه**، ٣٣٦.

(٥) دي بور، ت، ج، **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، ، تعريب محمد عبد الهادي، القاهرة، ط٤، ١٩٥٧م، ٤١٧.

الجوامع الكبرى أكثر من خزانة واحدة للكتب، فقد ذكر ياقوت أنه كان يوجد في أيامه في مدينة مرو الشاهنجان خزانتان في الجامع (وهو يقصد بالطبع المسجد الجامع في البلدة) أحداهما يقال لها العزيزية وقفها رجل يقال له عزيز الدين أبو بكر عتيق الزنجاني أو عتيق ابن ابي بكر وكان فقاعياً للسلطان سنجر وكان في أول مرة يبيع الفاكهة والريحان بسوق مرو ثم صار شرابياً له وكان ذا مكانة منه وكان فيها اثنا عشر ألف مجلد، والأخرى يقال لها الكمالية ولا أدري إلى من تنسب[١]، وعندما يتكلم ياقوت نفسه عن زيد بن الحسن الكندي البغدادي يذكر أنه كانت له خزانة كتب جليلة في جامع بني أمية[٢].

كما فعل علي بن طاهر السلمي الذي كان ثقة وكانت له حلقة في الجامع وقف عليها خزانة فيها كتبه[٣]. إن الملوك والخلفاء والأمراء والأغنياء والعلماء وحتى متوسطي الحال اعتادوا أن يوقفوا أشياء كثيرة على المساجد ابتغاء الأجر في اليوم الآخر ومن جملة هذه الأشياء الكتب ويرد اسم الكتب بين الأشياء التي يوقفها الناس على المساجد، فقد أنزل الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي إلى جامع ابن طولون ٨١٤ مصحفاً[٤].

وإذا كانت مكتبات المساجد تقوم بوظيفة المكتبات المدرسية والجامعية خلال القرون الأولى من تاريخ الإسلام، فقد زودت المدرسة المستنصرية النظامية في بغداد، في منتصف القرن الخامس الهجري بمكتبة ضخمة كان فهرسها كما يقال يضم ستة آلاف مجلد، واشتهرت بعض هذه المدارس مدارس أخرى كالمستنصرية لتكون جامعة تحمل اسم المستنصر العباسي فيما بعد[٥].

ثالثاً : المكتبات الخاصة :

---

(١) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٣٥/٨.

(٢) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ١٧٤/١١.

(٣) ياقوت الحموي، **المصدر نفسه**، ١٧٤/١١.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ٣، ٢٣٠.

(٥) د. أحمد بدر، **المدخل إلى علم المكتبات والمعلومات**، الرياض، دار المريخ، ١٩٨٥م، عدد الصفحات ٤٤٨، ٣٥.

وقد انتشر هذا النَّوع من المكتبات في جميع أنحاء العالم الإسلامي بشكلٍ واسع وجيِّدٍ؛ ومن أمثلتها الصَّحابي عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، ومكتبة الخليفة المستنصر، ومكتبة الفتح بن خاقان، ومكتبة ابن العميد، وغيرهم كثير.

وكان سبب انتشار هذا النوع من المكتبات حرص الكبراء والوزراء والعظماء والأغنياء على اقتناء مجموعات ضخمة فخمة منها، وهذه المكتبات وإن كانت تسمى خاصة لأنها تخص أفراداً معنيين انشأوها لفائدتهم ومصلحتهم، وفي غالب الأحيان من أموالهم الخاصة، إلا أنها في الغالب كانت نصف عامة إن جاز التعبير، فبعضهم يبيحها للناس جميعاً كما فعل ابن المنجم، وبعضهم يفتحها لأصدقائه أو العلماء والبحاثة ومن يثق بهم، والبعض الأخر حرم استعمالها إلا على نفسه وحاشيته، ويعتبر هذا النوع من المكتبات مع مكتبات المساجد، أول أنواع المكتبات في الإسلام ظهوراً، فقد رأينا كيف أسس خالد بن يزيد بن معاوية مكتبة وهي خليط من مكتبات البحث والمكتبات الخاصة. وقد ذاع بين الناس جمع الكتب واقتناؤه وحبها والعناية بها ولا سيما بعد انتشار استعمال الورق ورخص ثمنه وهبوط أثمان الكتب نتيجة لرخص المواد التي يصنع منها ولرخص أجور النسخ والتجليد.

ولقد مر سابقاً ذكر بعض محبي الكتب وهواة جمعها كالجاحظ والفتح بن خاقان الذي كان لا يفارق الكتاب يده ويقول عنه صاحب الفهرست إنه ... كان له خزانة جمعها علي بن يحيى المنجم له لم ير أعظم منها كثرة وحسناً وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين[1].

وقد أسس بكركر من نواحي قفص قرب بغداد، حيث كان يمتلك ضيعة نفيسة وقصراً جميلاً، خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة ويقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون فيها صنوف العلم، والكتب مبذولة في ذلك لهم والضيافة مشتملة عليهم، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى فقدم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحج وهو اذ ذاك لا يحسن كبير شيء من النجوم فوصفت له الخزانة فمضى فرآها فهاله أمرها فأقام بها وأضرب عن الحج

(١) ابن النديم، **المصدر السابق**، ١٦٩.

وتعلم فيها علم النجوم وأعرق فيه حتى ألحد، وكان ذلك آخر عهده بالحج والدين والإسلام أيضاً[١].

كذلك يجب أن نذكر ابن العميد وزير البويهيين ومكتبته الرائعة التي زهت بأن خازنها كان المؤرخ الشه

ير ابن مسكويه، ذلك ان ابن العميد لم يكن عالماً وبحاثه ممتازاً وذا ذكاء وقاد فقط، وإنما أضاف إلى هذا حباً شديداً للكتب، فقد جمع مكتبة حوت كل علم وكل نوع من أنواع المعارف والآداب يحمل على مائة وقر[٢].

وأما تلميذه اسماعيل بن عباد المعروف باسم الصاحب ابن عباد لأنه كان يرافق ابن العميد ويصاحبه فقد كان أشد حباً للكتب من استاذه وأكثر جمعاً لها. وهو أول من لقب من الوزراء بالصاحب ، وكان محباً للآداب والعلوم. وكان دائماً يقول: "صنفت مائتي ورقة أخذت عنها ألف دينار"[٣].

وقد أسس جعفر بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بابن حمدان في بلده الموصل مكتبة يسميها ياقوت دار العلم وقد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفاً على كل طالب علم لا يمنع أحد من دخولها. ثم يملي من حفظه من الحكايات المستطابة وشيئاً من النوادر المؤلفة وطرفاً من الفقه وما يتعلق به.

لا يمكن استقصاء أخبار أغلب من حوى مكتبة خاصة ذات أهمية لأن ذلك يفوق الحصر وليس له أهمية كبيرة، واذا انتقلنا غرباً إلى سورية ومصر نجد أيضاً اهتماماً زائداً بالمكتبات الخاصة، ولكن ليس على نفس المقياس.

كذلك وجد في مصر مكتبات خاصة جمعها بعض الوزراء والأطباء والأفراد، فقد أوجد يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمي خزانة لنفسه وكان محباً للعلوم يجمع حوله العلماء

---

(١) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ١٥٧/١٥.

(٢) أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، ١٩٥٨م، ٤ و٢٢٦/٢.

(٣) ابن أبي أصيبعة، **المصدر السابق**، ٧٤/٢-٧٥.

والأدباء، وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم وآخرون يكتبون الحديث والفقه والأدب وحتى الطب ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطونها[١].

وقد اشتهر الأطباء خاصة في مصر وسورية بحب الكتب وجمعها، من أهمهم موفق الدين بن المطران وكانت له همة عالية في تحصيل الكتب حتى أنه مات وفي خزانته من الكتب الطبية ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخه وكانت له عناية بالغة في استنساخ الكتب وتحريرها، وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له أبداً ولهم منه الجامكية والجراية وكان من جملتهم جمال الدين المعروف بابن الجمالة وكان خطاً منسوباً[٢].

أما الأندلس فقد تغالى القوم في اقتناء الكتب وفي تجليدها وزخرفتها وبلغت المكتبات في تلك القبعة الإسلامية درجة عالية جداً من التقدم وذلك نتيجة طبيعية للحضارة التي أوجدها الإسلام هناك، وناهيك ببلدة بلغ عدد مساجدها ١٦٠٠ مسجد وحماماتها ٦٠٠ وفيها مائتا ألف دار وثمانون ألف قصر، منها قصر دمشق شيده بنو أمية حاكوا به قصورهم في بلاد الشام، وكان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي[٣].

يذكر المقدسي عن أهل المقدس: "وكل مصاحفهم ودفاترهم في رقوق... وأهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة وخطوطهم مدورة"[٤]. كذلك جمع ابن حزم المؤلف المشهور مكتبة كبرى. وقال المقري: "وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً"[٥]. بل ولقد وجد بالأندلس نسوة عالمات اهتممن بجمع الكتب وبالأدب، فمن هؤلاء النسوة عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب وتعنى بالعلم ولها خزانة علم كبيرة وحسنة ولها غنى وثروة تعنيها على المروءة وتوفيت عائشة سنة ٤٠٠هـ.

وقد انتشرت عادة اقتناء الكتب في الأندلس وإنشاء مكتبة كما ينشئ أحدنا الآن غرفة لاستقبال ضيوفه أو غيرها من الغرف.

---

(١) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ١/ ٢٨.

(٢) ابن أبي أصيبعة، **المصدر المذكور آنفا**، ٣/٢٩٢-٢٩٣.

(٣) كرد علي، محمد، **الإسلام والحضارة العربية**، ١/٢٥٦.

(٤) أمين، أحمد، **ظهور الإسلام**، ٣/١٣.

(٥) المقري، أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب في غضن الأندلس الرطيب**، ١/٤٦٣.

والواقع أن الثقافة العربية الإسلامية والتربية والتعليم انتشرت في القرن العاشر والحادي عشر الميلاديين في اسبانيا المسلمة إلى درجة جعلت دوزي المؤرخ المشهور يقول بأن أغلب الناس في الأندلس أصبحوا قادرين على القراءة والكتابة، بل يمكننا أن نقول أن كل فرد تقريباً يعرف القراءة والكتابة. وقد انتقلت الثقافة العربية إلى المستعمرين الإسبان وهم الإسبان النصارى الذين أقاموا في البلاد الإسلامية وعاشوا تحت ظل الحكم الإسلامي، فقد سرت إليهم العادات الإسلامية وتعلموا اللغة العربية وكتبوا بها واقتنوا مكتبات عربية. يبدو ذلك واضحاً من نص يروى عن الكاتب الإسباني النصراني المتعصب الفارو، ذلك أن هذا القس المهووس ببعض الإسلام كتب في القرن التاسع الميلادي يقول: "أن اخواني المسيحيين يدرسون كتب فقهاء المسلمين وفلاسفتهم لا لتنفيذها بل لتعلم أسلوب عربي بليغ. وا أسفاه أنني لا أجد اليوم علمانياً يقبل على قراءة الكتب الدينية أو الانجيل، بل أن الشباب المسيحي الذين يمتازون بمواهبهم الفائقة أصبحوا لا يغرفون علماً ولا أدباً ولا لغة الا العربية، ذلك أنهم يقبلون على كتب العرب في نهم وشغف ويجمعون منها مكتبات ضخمة تكلفهم الأموال الطائلة في الوقت الذي يحتقرون الكتب المسيحية وينبذونها..."[1].

رابعاً : المكتبات الأكاديميَّة :

وهي من أشهر المكتبات في الحضارة الإسلاميَّة؛ ومن أهمِّها مكتبة بغداد "بيت الحكمة" أو "خزانة الحكمة" التي احتضنها المأمون في بغداد وكانت نموذج للمكتبة المخصصة للبحث والدرس والمخصصة للدراسات العليا، وقد ظهرت في بلاد الإسلام في القرن الثاني الهجري، ومن أمثلتها وهي دار الحكمة في القاهرة وهي أكاديمية علمية كبرى لم يقم مثلها في مكان آخر من دنيا الإسلام.

وقسمت المكتبة إلى أقسام : قسم للفقهاء وقسم آخر لقراءة القرآن الكريم وقسم ثالث للمنجمين وقسم رابع لأصحاب النحو واللغة وقسم خاص للأطباء. وقد أباح الحاكم الدار لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها، فكان ذلك من المحاسن المأثورة أيضاً التي لم يسمع بمثلها، ذلك أنه أعطى رواتب لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه

(١) جرونيباوم، جوستاف، **حضارة الإسلام**، تعريب عبد العزيز جاويد، القاهرة، ١٩٦٠م، ٨١-٨٢.

وغيره[١]، وقد حضرها الناس من مختلف مستوياتهم الثقافية، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعلم وجعل فيها ما يحتاج إليه الناس من الحبر والأقلام والورق والمحابر[٢].

وهناك مكتبة أكادمية أخرى لا بد من ذكرها هي مكتبة مراغة التي أسسها المغول بعد سقوط بغداد في مدينة مراغة من مدن أذربيجان، وعهدوا برئاستها إلى محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي، وقد أصبحت مراغة أيام المغول عاصمة المشرق وقد أنشأ بها المغول معهداً علمياً ومرصد للدراسات الفلكية وخزانة كتب عظيمة واستقدموا إليها أئمة العلوم الرياضية والفلكية والعقلية والطبية، وقد نظمت الدراسة في هذا المعهد طبق نظام دقيق معين أشار له ابن الفوطي في كتابه الحوادث الجامعة[٣].

وقد أوقف نصير الدين عليها الأوقاف الكثيرة حتى يضمن استمرارها من بعده، وارتحل في أنحاء البلاد ليجلب لها الكتب التي تجد، وجمع في العراق كتباً كثيرة لأجل الرصد[٤].

خامساً : المكتبات الخلافية :

وهي مكتبات كان ينشئها الخلفاء والأمراء والحكام من أجل أنفسهم، وقد جعلوها حلقات للمناظرة والسمر والمحاضرات والقاء العلوم المختلفة، وقد ازدهرت هذه المكتبات حيث ومتى وجد خليفة أو أمير أو حاكم متنور محب للعلوم والآداب راغب في الكتب وأهلها مقرب للعلماء، وكان يباح دخول بعض هذه المكتبات للناس جميعاً، والبعض الآخر كان محرماً على دخول الناس مقصوراً على استعمال الخليفة أو الأمير وحاشيته. وقد انتشرت هذه المكتبات في أرجاء البلاد الإسلامية، ذلك أن القرن الثالث الهجري شاهد انقسام الإمبراطورية الإسلامية إلى دويلات واستمرت عملية التقسيم تزداد فيما بعد، وكل انقسام جديد للإمبراطورية يظهر للنور حكاماً جدداً وامراء مع بلاطاتهم وعواصمهم، وكان كثير من هؤلاء المتغلبين يهتم بالعلوم والآداب لأن من سمة ذلك العصر أن يهتم الحاكم الصالح بالعلوم والآداب وأن يشجعها وأن يجمع حوله العلماء

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ٣٣٧/٢.

(٢) المقريزي، **المصدر السابق**، ٣٣٧/٢.

(٣) الكتبي، **فوات الوفيات**، ٣٠٧/٢.

(٤) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ٣٥٠.

والأدباء حتى يذيع اسمه ويشتهر أنه ملك أو حاكم صالح محب للعلوم والآداب مقرب لأهلهما منه، وخاصة العلوم الشرعية، وهذا قسم من الدعاية يقوم بها الحاكم لنفسه ليرفع من اسمه وأسهمه أمام شعبه وشعوب العالم الإسلامي الأخرى. والجدير بالذكر أن الانقسام السياسي الذي حصل في ديار الإسلام لم يرافقه ضعف حضاري بل بالعكس نجد الحضارة الإسلامية قد بلغت أوج عزها وعظمتها عندما كان المسلمون ضعفاء سياسياً، سواء في الأندلس أو الشمالي افريقيا أو في المشرق، ذلك أن بذرة الحضارة كانت قد غرست أيام الوحدة والقوة والمنعة، وأن التوجه الإسلامي الصحيح قد وجه القوم رغم كل شيء نحو الحضارة والنور، وان التفاعل الحضاري تم قبل فترة التمزق هذه، ولذلك لم يمنع الانقسام السياسي الحضارة من الازدهار والتفتح ولم يمنع البذور الصالحة من النمو والارتقاء حتى أصبحت شجرة ذات أكمام وذات أثمار، ولا سيما وأن التفتت السياسي لم يقم الحواجز بين أبنا البلاد الإسلامية فبقى التبادل الثقافي والتبادل الاقتصادي والارتحال حراً دون قيود أو شرط، اضف إلى ذلك كثرة المراكز التي كانت تحتضن الحضارة كبخارى وشيراز والري وبغداد وحلب ودمشق والقاهرة وقرطبة.. ووجود حكام متنورين شجعوا فعلا الحركة الثقافية العلمية لوجه الله والثقافة والعلم، كل ذلك شجع الحضارة الإسلامية تزدهر كل الازدهار وجعل مراكزها تنتشر في جميع البلاد الإسلامية وبالتالي كثرت المكتبات الخلافية أو الأميرية التي هي مدار اهتمامنا الآن.

كذلك أسس عضد الدولة البويهي في شيراز مقر حكمه دار كتب فخمة طار صيتها في الآفاق وجمع فيها من الكتب ما ليس له نظير. يذكر المقدسي أن عضد الدولة بنى داراً في شيراز لم ير في شرق ولا غرب مثلها ما دخلها عامي إلا افتتن بها ولا عاقل الا استدل بها على نعمة الجنة وطيبها، خرق فيها الانهار ونصب عليها القباب وأحاطها بالبساتين والأشجار وحفر فيها الغياض وجمع فيها المرافق والعدد، وسمعت رئيس الفراشين يقول: فيها ثلاثمائة وستون حجرة وداراً كان مجلسه كل يوم واحدة إلى الحول وهي سفل وعلو، وخزانة الكتب حجرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد، ولم يبق كتاب صنف إلى وقته ومن أنواع العلوم كلها إلا حصله منها، وهي أزج طويل في صفة كبيرة فيه خزائن من كل وجه، وقد الصق إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوتاً طولها قامة إلى عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق عليها أبواب تنحدر من فوق، والدفاتر منضدة على الرفوف، لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامي

الكتب لا يدخلها إلا وجيه، وطفت في هذه الدار كلها سفلها وعلوها وقد فرشت فيها الآلات فرأيت في كل مجلس ما يليق به من الفرش والستور[١].

يُستنتج من هذا النص أن المكتبة كانت منظمة تنظيماً جيداً جداً حتى بمقاييس هذه الأيام، فالأثاث فيها موفور ومتناسب، والكتب مصونة من الغبار وغيره وذلك لوجودها في خزائن خاصة بها، والمكتبة بعهدة ثلاثة أشخاص يتسلسلون في العمل والمسؤولية، وكذلك نلاحظ أن المكتبة مصنفة حسب المواضيع، وأن هناك فهرستاً لكل خزانة الصق على باب الخزانة تسهيلاً للمطالع والمراجع، كذلك نلاحظ أن دخول المكتبة محظور الا على الخاصة وغالباً ما يحتاجون إلى إذن خاص، ذلك أن عضد الدولة جعل على باب الدار بوابين مهمتهم منع من لا يحمل اذناً بالدخول. ويذكر المقدسي أيضاً أن ذلك الأزج قد فرش ببساط عباداني وعقد على بابه رواق، ويذكر ذلك أنه طالع في هذه الدار بعض الكتب، ويعطي ملخصاً لأحد الكتب التي طالعها هنا: "وقرأت في كتاب بهذه الخزانة أهل فارس أنجع الناس بطاعة السلطان وأصبرهم على الظلم وأثقلهم خراجاً وأذلهم نفوساً، وفيه ... أهل فارس لم يعرفوا عدلاً قط..."[٢].

وأما المكتبات الخلافية في الأندلس : فقد سبق ذكر حب أهل الأندلس للكتب وانتشار الثقافة بينهم وعنايتهم بالأدب والتعليم حتى أصبحت الأندلس مركزاً ممتازاً من مراكز الثقافة في العالم يتقاطر إليه العلماء والأدباء من كل مكان، والواقع أن أغلب حكام الأندلس وخاصة الأمويين كانوا محبين للعلوم والآداب مهتمين بنشر نور المعرفة، وقد أسسوا مكتبات رائعة سار بذكرها الركبان، فقد أسس عبد الرحمن الأوسط (أواسط القرن الثالث الهجري) مكتبة فخمة في قرطبة وأرسل إلى المشرق عباس بن ناجح ليلتمس بعض الكتب ويستنسخها[٣]، كذلك اهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ) بالعلوم والآداب اهتماماً كبيراً وقصده العلماء من كل مكان وأصبح قصره قبلة الأدباء ومثابتهم أمثال القالي وغيره، وقد أسس مكتبة كبرى في قصره وخزن بها الكتب بجميع اللغات.

---

(١) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ٤٤٩.

(٢) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد، **المصدر نفسه**، ٤٤٩.

(٣) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد، **المصدر نفسه**، ٢٠٠/١.

لكن الخليفة الذي يقرن اسمه دائماً بالعلوم والكتب وتشجيعها هو الحكم الثاني المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ)، ذلك أن الحكم استفاد كل الفائدة من السلم الوطيد الذي حققه والده واستفاد من قوة الدولة وهيبتها وتوفر الأموال والرخاء والرفاه والذي عم أرجاء البلاد آنذاك فالتفت لقطف ثمار ذلك مدارس ومكتبات وكتباً وحضارة شامخة. وقد تثقف الحكم على أيدي أبي علي القالي صاحب كتاب الأمالي، ذلك أنه لما وفد أبو علي على عبد الرحمن الناصر من الشرق أكرم مثواه وحسنت منزلته عنده وأورث أهل الأندلس علمه واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه[١].

سادساً : مكتبات المدارس :

المدرسة – فنياً واصطلاحاً– هي مكان لتدريس عدد معين من الطلاب على أيدي أساتذة مخصوصين مواد دراسية معينة ذات مستوى معين. فهي بهذا التعريف ذات اختصاص ومدرسة اختصاصية ولها منهاج محدد معين، والدراسة فيها منظمة ومنتظمة، والدراسة غالباً ذات طابع ديني فقهي على المذاهب الثلاثة أو الأربعة المشهورة مع ما يلزمها من أدب ولغة وأصول وتوحيد وتوابعها، ويعطى الطلاب والأساتذة جعالة معينة من أجل معيشتهم. ورغم أن عدداً من المؤرخين يذكرون أن أول من أسس مدرسة في الإسلام هو نظام الملك وزير السلاجقة الشهير في النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة، إلا أن الحقيقة خلاف ذلك إذ وجدت المدارس قبله بفترة ليست وجيزة، ولكنه أول من جعلها عملاً رسمياً تقوم به الدولة وتلتزمه ونشرها في عدد كبير من المدن في شرقي الإمبراطورية الإسلامية مثل بغداد واصبهان ونيسابور والري ومرو...الخ وأشهرها جميعاً نظامية بغداد التي خرجت عدداً كبيراً من فطاحل علماء العالم الإسلامي والتي ظلت في الوجود فترة طويلة من الزمن وعاصرت سقوط بغداد بيد المغول ونجت من الهلاك والدمار، ونحب أن نقول بهذه المناسبة أن تأسيس المدارس في الإسلام وإعطاء الجرايات للطلاب قوبل من البعض بعدم الرضا والاستنكار، يقول حاجي خليفة واصفاً موقف علماء بلاد ما وراء النهر من بناء المدارس وشعورهم تجاه ذلك ما يلي: ولقد كوشف علماء بلاد ما وراء النهر بهذا الأمر ونطقوا به لما بلغهم بناء المدارس ببغداد أقاموا مأتم العلم وقالوا كان

---

(١) ابن خلدون، **كتاب العبر**، ١٤٦/٤.

يشتغل به أرباب الهمم العلية والأنفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به فيأتون علماء ينتفع بهم بعلمهم، وإذا صار عليه اجرة تداني إليه الاخساء وأرباب الكسل فيكون سبباً لارتفاعه ومن ههنا هجرت علوم الحكمة وإن كانت شريفة لذاتها[١].

وقد أسس نظام الملك مدرسته هذه في بغداد سنة ١٠٦٥م وافتتحت رسمياً سنة ١٠٦٧م. وقد خصصت منذ اللحظة الأولى لتدريس علوم السنة وخاصة المذهب الشافعي.

ومما تجدر ملاحظته أن منصب أمين المكتبة شغله اناس هم في الذروة علماً وفضلاً وأدباً ومكانة فهناك الإسفرايني أول خازن لمكتبة النظامية يرصف بأنه شاعر أديب، ولما توفي حل محله محمد بن أحمد الإبيوردي الذي يصفه ياقوت بأن له مصنفات كثيرة جداً[٢].

وقد أصاب خزانة كتب النظامية ببغداد تصدع وإهمال، مع مرور الزمن، فجددها الخليفة الناصر لدين الله العباسي سنة ٥٨٩هـ فأمر بعمارة خزانة كتبها ونقل إليها من الكتب النفيسة ألوفاً لا يوجد مثلها[٣]، وقد كانت هذه المكتبة تحاط بعناية فائقة وتهوى إليها أفئدة الطلاب والدارسين، ومن الأدلة على هذه العناية الفائقة التي كانت تحاط بها هذه المكتبة القصة التالية التي يرويها ابن الأثير في حوادث سنة ٥١٠هـ إذ يقول: "وفي هذه السنة وقعت النار في الحظائر المجاورة للمدرسة النظامية ببغداد فاحترقت الأخشاب التي بها وانتقل الحريق إلى درب السلسلة وتطاير الشرر إلى باب المراتب فاحترقت منه عدة دور واحترقت خزانة كتب النظامية وسلمت الكتب لأن الفقهاء لما أحسوا بالنار نقلوها"، كذلك كان كثير من العلماء يوقفون كتبهم على النظامية، فقد أوقف محب الدين بن النجار صاحب ذيل تاريخ بغداد خزانتين من الكتب للنظامية وكان ذلك في النصف الأول من القرن السابع للهجرة وقيمة هذه الكتب ألف دينار[٤].

وقد اختلف عدد الكتب في هذه الخزانة بحسب العصور والأوقات، ويذكر ابن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧هـ في كتابه صيد الخاطر أنه نظر في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد.

---

(١) حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ٢٢/١.

(٢) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ٢٣٧/١٧.

(٣) ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، ٢٢٩/٨.

(٤) شلبي، أحمد، **تاريخ التربية الإسلامية**، ١٧١.

هذا وأن آخر مدرسة أنشئت في بغداد قبل سقوطها بين المغول سنة ٦٥٦هـ، ولعلها أفخمها، هي تلك المدرسة التي عرفت باسم مؤسسها الخليفة المستنصر بالله العباسي.

فأصبح الدين ثابت الأركان رفيع البنيان، ولقد شاع من مكارم أخلاقه ما زاد ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر[١] ورغم أن الخليفة المستنصر أنشأ مكتبة خاصة في قصره، إلا أن اسمه لا يقرن بها، وإنما يقرن اسمه بالمدرسة المستنصرية ذلك أن المؤلف نفسه يذكر أن الخليفة المستنصر بالله أوجد لنفسه خزانة كتب.

ثم أنشأ مكتبة على شاطئ دجلة وجعلها وقفاً على المذاهب الأربعة ليحصل بها كمال المنفعة فجاءت محكمة البناء راسخة في الماء فسيحة الفناء وصفها غريب وحسن ترتيبها عجيب شامخة إلى عنان السماء تضحك شرفاتها بالسرور ويظهر في أبنيتها الفرح والحبور. وبنيت لهم صفة فاخرة مقابلة للمدرسة يجلس فيها الطبيب فيقصده المرضى فيداويهم[٢].

هذا وقد بنى الخليفة خزانة الكتب ضمن بناء مدرسته، وكانت من أهم أقسامها وكانت تسمى خزانة الكتب، ومكان المكتبة هو القاعات الكبيرة الواقعة في القسم الشرقي من عمارة هذه المدرسة يفصل بينهما وبين مدرسة الفقه دهليز طويل عال، وهذه القاعات ترتفع بارتفاع الطابقين، ولم تكن لها نوافذ بل كان فيها كوى سقفية لا تزال عامرة تكفي للإضاءة والتهوية[٣].

وقد أوقف الخليفة أوقافاً نفيسة غنية جليلة من أجل دوام واستمرار تغذية مؤسسته، وخص المكتبة والمشرفين عليها بنصيب موفور من أوقافه، كما وأنه زود المكتبة بالحبر والورق والأقلام وسائر أدوات الكتابة والنسخ وذلك بالمجان، كذلك اشترط الخليفة أن يكون في دار الكتب التي هي الخزانة عشرة أشخاص يشتغلون بعلم الحديث النبوي، ويكون لهم شغلان يشغلان الطلبة بعلم الحديث النبوي ورتب عندهم شيخ على الاسناد يقرأ عليه الحديث[٤].

---

(١) قنيتو الاربلي، عبد الرحمن سنبط، **خلاصة الذهب المسبوك مختصر سير الملوك**، بغداد، مكتبة المتنبي، ٢٨٦.

(٢) قنيتو الاربلي، **المصدر نفسه**، ٢٨٦-٢٨٧.

(٣) قنيتو الاربلي، **المصدر نفسه**، ٢٨٧-٢٨٨.

(٤) قنيتو الاربلي، **المصدر نفسه**، ٢٨٨.

ولا يزال بناء المدرسة المستنصرية قائماً في بغداد حتى أيامنا هذه، وإن كان لحقه كثير من التغير والتعديل. وقد شاهدت المستنصرية الغزو المغولي لبغداد سنة ٦٥٦هـ ونجت منه، ربما بجراحات غير قاتلة، واستردت قوتها بعده وظلت تقوم بمهمتها العلمية فترة طويلة من الزمن، وعندما زار ابن بطوطة في سنة ١٣٢٧م بغداد وجدها قائمة شامخة تدور فيها المناظرات وتقام فيعا الدروس، ولا ندري بالضبط متى توقف سير الدروس فيها وانتهبت خزانتها، ولما زار الرحالة نيبور بغداد في سنة ١٧٥٠م وجد البناء على حاله ولكنه لم يكن مدرسة وإنما كان آنذاك مستعملاً مكاناً للموازين، ولقد كانت لا تزال قائمة على شاطئ دجلة عند جسر القوارب في القوت الذي كتب فيه مؤلف مادة بغداد في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الأولى مادته هذه (الجزء الأول، الصفحة ٥٦٧ من النص الانكليزي)، وكانت مستعملة حتى عهد قريب كمركز للجمارك. ومما يجدر ذكره أن نيبور الرحالة قرأ على جدار مطبخ المستنصرية نقشاً يقول أن الفراغ من بنائها كان سنة ٦٣٠هـ على حين يجمع المؤرخون على أن الفراغ من بنائها كان سنة ٦٣١ هـ.

إن بناء المدارس انتشر في الإسلام انتشاراً هائلاً، ومدن سورية ومصر والعراق مليئة بالمدارس، وقد الحق بجميعها مكتبات، فنور الدين الشهيد بنى مدرسة في دمشق والحق بها مكتبة وكذلك فعل صلاح الدين وأفراد أسرته بعده، والشيء نفسه قام به عدد عظيم من أمراء المسلمين وكبرائهم وأغنيائهم، فالقاصي الفاضل وزير صلاح الدين أسس مدرسة أسماها باسمه الفاضلية في القاهرة وأودع فيها حوالي مائة ألف مجلد مما أخذه من خزائن الفاطميين، ويذكر ياقوت الحموي عدة مدارس في مرو في زمانه تحوي مكتبات ضخمة وكانت أبوابها مفتوحة للجميع وهكذا[1].

سابعاً : مكتبات المشافي :

من مآثر الإسلام الكبرى عنايته بالمرضى واهتمامه بعلاجهم وإيجاد الأماكن اللازمة لمعالجتهم وتطبيبهم وقد اهتم أوائل الخلفاء بهذه النواحي. فنقرأ في كتب التاريخ أن الخليفة

(١) سعيد أحمد حسن، **أنواع المكتبات في العالمين العربي والإسلامي**، دار الفرقان، الأردن (عمان)، ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ، ط١، عدد الصفحات ٩٣، ٥.

الأموي الوليد بن عبد الملك اهتم بالمرضى فعزل المجذومين في أماكن خاصة وأوقف عليهم من يهتم بهم، كذلك عين لكل أعمى قائداً يهديه السبيل إلى غير ذلك من الأخبار، ومع تقدم الزمان ورقي الحضارة واستجار العمران انشئت المشافي، وقد استعمل المسلمون لها كلمة الفارسية مارستان أو بيمارستان وتعني بيت المرضى، وقد أنشأ الخلفاء والحكام المشافي في طول البلاد وعرضها، وعندما جاء عهد الخليفة هارون الرشيد ١٧٠-١٨٥هـ/٧٨٦-٨٠١م اهتم أكثر ببناء البيمارستانات، وزاد من تطويرها فأقام بيمارستاناً كبيراً في بغداد، وألحق به مكتبة علمية ضخمة هو على غرار البيمارستانات الفارسية[١]، كما أوجد عضد الدولة البويهي في القرن الربع الهجري بيمارستاناً في بغداد سمي باسمه فظل فترة طويلة يستقبل المرضى ويهتم بهم، كما أنشأ نور الدين الشهيد في دمشق في القرن السادس الهجري مارستاناً، وفعل ذلك ملوك المماليك وحكامهم في مصر وسورية، وقد ألحق بهذه المشافي مكتبات حافلة تضم ثمرات العقول لأن المستشفى لم يكن مكاناً للتطبيب والتمريض فحسب، وإنما كان أيضاً مكاناً لتعليم طلاب الطب الأمراض وطرق معالجتها فكان مكاناً للتدريب العملي ومكاناً للدراسة النظرية، والمشافي التي عندنا أخبار عن مكتباتها هي البيمارستان العضدي فقد الحقت به مكتبة ضخمة كانت مصدراً أساسياً للطلاب والأساتذة على السواء، وكذلك كانت الحال في البيمارستان النوري في دمشق، ذلك أن نور الدين الشهيد الذي حكم قسماً من العراق وسوريا ومصر عمر بيمارستاناً في دمشق وأطلق عليه اسمه، فلما عمر البيمارستان جعل أمر الطب فيه إلى الطبيب أبي المجد بن أبي الحكم المتوفي سنة ٥٧٠هـ، وكان يعود على المرضى فيه، وكان يعتبر أحوالهم وبين يديه المشارفون والخدام للمرضى، وكل ما يكتبه للمرضى لا يؤخر عنهم، فإذا فرغ من ذلك طلع القلعة وافقتد مرضى السلطان وغيرهم وعاد إلى البيمارستان وجلس في الايوان الكبير، وجميع الايوان مفروش، ويحضر كتب الأشغال، وكان نور الدين قد أوقف جملة كثيرة من الكتب الطبية، وكانت في الخزانتين اللتين في صدر الايوان، وكانت جماعة الأطباء والمشتغلين يأتون إليه ويجلسون بين يديه، ثم تجري مباحثات طبية وتقرأ التلاميذ ولا يزال معهم في اشغال ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات ثم يركب بعد ذلك كله إلى داره بدمشق[٢].

---

(١) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ١٨٧-١٨٤.

(٢) النعيمي، عبد القادر، **الدارس في تاريخ المدارس**، ١٩٥٣م، ١٣٧-١٣٨.

كذلك يورد المقريزي ذكر مكتبة ملحقة بالمارستان المنصوري في القاهرة في زمانه[١]، وقد بلغت بعض المكتبات الملحقة بالمشافي حداً ضخماً، فقد ذكر أن عدد الكتب التي وجدت في مستشفى قلاوون في القاهرة حوالي مائة الف مجلد أخذت أغلبها من دار الحكمة في القاهرة[٢].

وأصبحت البيمارستانات تضم كبار علماء الدولة، ليس في الطب فقط، بل كان يتردد عليها الفقهاء والأدباء وغيرهم، كما كان الأطباء أنفسهم منهم النحاة والشعراء والمتكلمون والأصوليون والمحدثون والمؤرخون واللغويون وعلماء الفلك والمفسرون والمهندسون والرياضيون، ويطول بنا الحديث إذا ضربنا الأمثلة لذلك، حيث كانت البيمارستانات مجمع العلوم والخبراء والفقهاء، وعرف أن هناك العديد من العلماء الذين جعلوا أموالهم وقفاً للبيمارستانات، كما عرف أن هناك علماء من العجم، وغيرهم تعلموا في البيمارستانات الإسلامية، فجاءوا خصيصاً لينهلوا العلوم الطبية في البيمارستانات الإسلامية وزاد هذا عندما ألحقت المكتبات بالبيمارستانات ليصبح بكل بيمارستان مكتبة كبيرة يستفيد منها الأطباء والمرضى والتلاميذ الذين يتعلمون الطب، وعمل الخلفاء والأمراء على تزويد مثل هذه المكتبات بالكتب ودعموها بالأموال، ومثل ما فعل نور الدين محمود بن زنكي من تشييده مكتبة كبيرة للبيمارستان النوري في دمشق وأوقف عليها الأموال والكتب لتكون خدمة للطلبة والمعلمين، ومن مظاهر التطور في البيمارستانات وجود النقالات لحمل المرضى عليها، خصوصاً من بترت أطرافهم، وهذا يدل على اهتمامهم بنقل المرضى من بيوتهم إلى البيمارستان.

كما شهد بيمارستان أحمد بن طولون ازدهاراً حينما زوده بمكتبة تزيد عن مائة ألف مجلد، وهذا إنما يدل على مدى التطور الذي شهده هذا البيمارستان من ناحية ثقافية وعلمية وطبية[٣].

ولقد احتلت مكتبة البيمارستان القبة الكبيرة التي بجانبه، واهتم السلطان المنصور قلاوون بهذه المكتبة بشكل كبير حتى أنه أقام عليها خازناً بمرتب مساوٍ لمرتب المدرس، ولقد حوت هذه المكتبة من جميع فروع المعرفة التي عرفت في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

وكان التعليم العملي يتم بالبيمارستان المنصوري، أما النظري منه فكان يتم بالمدرستين المنصورية والناصرية، وكان ابن النفيس يدرس في كليهما الطب، كما كان يدرس الفقه في المدرسة المسرورية، وفي أوقات راحته كان يتجه إلى مكتبة البيمارستان التي في القبة فيجلس

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ٣/٣٢٢.

(٢) فنسك، **دائرة المعارف الإسلامية**، ٣/٣٦١.

(٣) أحمد عيسى، **تاريخ البيمارستانات**، ٧٤.

للبحث والقراءة. وقد أوقف ابن النفيس إلى هذه المكتبة الطبية داره ومكتبته، عندما آلت إليه رئاسة نقابة الأطباء في ذلك الوقت، ولقد تعرضت هذه المكتبة فيما بعد إلى حريق كبير ألحق الضرر بمعظم محتوياتها.

كما ألحق به عضد الدولة بن بويه عام (٣٧١هـ/٩٨١م)، بالبيمارستان العضدي الَّذي بناه في مدينة بغداد، بعد أن استشار الطبيب الرازي في اختيار مكانه المناسب، مكتبة وصيدلية ومخازن ومطابخ[١].

وعندما ألحقت المكتبات بالبيمارستانات ليصبح بكل بيمارستان مكتبة كبيرة يستفيد منها الأطباء والمرضى والتلاميذ الذين يتعلمون الطب، وعمل الخلفاء والأمراء على تزويد مثل هذه المكتبات بالكتب ودعموها بالأموال، ومثل ما فعل نور الدين محمود بن زنكي من تشييده مكتبة كبيرة للبيمارستان النوري في دمشق وأوقف عليها الأموال والكتب لتكون خدمة للطلبة والمعلمين، ومن مظاهر التطور في البيمارستانات وجود النقالات لحمل المرضى عليها، خصوصاً من بترت أطرافهم، وهذا يدل على اهتمامهم بنقل المرضى من بيوتهم إلى البيمارستان[٢] ، ويجب الانتباه إلى أن المكتبة كانت للمرضى والطلاب والأطباء.

ثامناً : المكتبات المتنقلة :

ومثالها مكتبة الصاحب بن عباد التي كان يصطحبها معه قد كان أثناء سفره من الكتب ما حملته عشرة جمال فلما صدر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني استغنى عن ذلك اكتفاء بكتاب الأغاني، وقد اعتاد بعض حكام المغرب الأقصى (مراكش) في العصور المتأخرة أن يصطحب معه مكتبة متنقلة أثناء سفره فقد ورد ذكر مثل هذه المكتبة في كتاب أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعافري بن عربي ... يروي المؤلف... خبرني الشيخ الصالح يوسف الحزام المغربي بالإسكندرية في سنة ستين وسبعمائة قال رأيت تأليف القاضي أبي بكر بن العربي في تفسير القرآن المسمى أنوار الفجر كاملاً في خزانة السلطان الملك العادل أمير المسلمين أبي عنان فارس ابن سلطان أمير المسلمين أبي الحسن علي ابن السلطان أمير

---

(١) أحمد عيسى بك، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دمشق، مطبعة التمدن الإسلامي، د.ط، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، ٧٤.

(٢) د.عبد الناصر كعدان ود. محمد يحيى صباغ، **البيمارستانات في الإسلام(النوري والأرغوني)**، ٢٥ .

المسلمين أبي سعيد عثمان بن يوسف بن عبد الله، وكان السلطان أبو عنان آنذاك بمدينة مراكش، وكانت له خزانة كتب كان يحملها معه في الأسفار وكنت أخدمه مع جماعة في حزم الكتب ورفعها فعددت أسفارها فبلغت عدتها ثمانين مجلداً لم ينقص من الكتاب المذكور شيء[١].

ويمكن تشبيه هذه المكتبات بالمكتبات المتنقلة التي انتشر استعمالها في بلاد الغرب، مع شيء من التجوز، إذ أن الأولى خاصة بالملوك والكبراء على حين أن مهمة الثانية خدمة أفراد الشعب البعيدين عن مراكز المكتبات الكبرى والعامة.

وهذا النوع من المكتبات يخدم المجتمعات الصغيرة المتباعدة عن بعضها والتي تنعدم معها تقريبا جدوى اقامة مكتبات ثابتة فيها لضخامة التكلفة الاقتصادية وفي نفس الوقت عدم وجود كثافة المستعملين التي تتطلب وجود مكتبة ثابتة في كل منها على حدة لذلك ظهر ما يسمى بالمكتبات المتنقلة (Book Mobiles) وهي عبارة عن عربات كبيرة تحمل مجموعة متنوعة من الكتب والمجلات تنتقل بها بين المناطق المختلفة للوصول الى المناطق التي يصعب بها اقامة مكتبات عامة وفي بعض الاحيان تزود هذه العربات بمجموعة من المقاعد والطاولات يتم فردها وطيها لتستخدم اينما وجدت بصورة مؤقتة.

تاسعاً : مكتبات الخانقاه :

كذلك كان هناك مكتبات في الخانقاه، وبعضها مهم حتى أننا نجد ياقوت الحموي يذكر مكتبة كبرى في مرو في خانقاه هناك[٢].

عاشراً : مكتبات أخرى :

وهناك أنواع اخرى من المكتبات أقل شهرة وأقل أهمية وذيوعاً مما ذكرنا من المكتبات، منها المكتبات التي كانت تلحق بالترب والمقابر، ذلك أن العادة جرت أن يحلق بقبور العظماء

---

(١) أبو بكر المعافري، محمد بن عبد الله بن العربي، **أحكام القرآن**، المقدمة ص أ- ب.

(٢) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٣٦/٨.

والأغنياء مكان لقراءة القرآن بشكل سبه متصل وأن تلحق به مكتبة صغيرة فيها بعض الكتب الدينية، وإن كان الإسلام لم يأمر بذلك، فقد خالف البعض في بناءها على الأضرحة.

الفصل الثالث : دراسة تفصيلية لبعض أشهر وأكبر المكتبات في أرجاء الدولة الإسلامية:

ويشتمل على :

أولاً : خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد (دار الحكمة أو بيت الحكمة)

ثانياً : مكتبة قرطبة الضخمة بالأندلس.

ثالثاً : مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت.

الفصل الثالث : دراسة تفصيلية لبعض أشهر وأكبر المكتبات في أرجاء الدولة الإسلامية :

وهدف هذه الدِّراسة لاستنباط أسس ومعايير وضوابط عمارة المكتبات ويشتمل على :

أولاً : خزانة الخلفاء العباسي*ين ببغداد (دار الحكمة أو بيت الحكمة) [١]:

١- المـــؤسســون لبيــت الحكمـــــة :

يعد (بيت الحكمة) أعظم المكتبات العربية شأناً واقدمها زمناناً، وأول من فكر بإنشاء هذا البيت أبو جعفر المنصور، فقد خصص بناية مستقلة جمع فيها نفائس الكتب ونوادرها من المؤلفات العربية والمترجمة عن اللغات المختلفة[٢].

ولما جاء الخليفة هارون الرشيد (ت١٩٣هـ).وكان من أعظم خلفاء بني العباس وأكثرهم ذكرا في التاريخ، فقد أصبحت بغداد في عهده كعبة العلم والأدب، فاتجه إلى إخراج الكتب والمخطوطات التي كانت تحفظ في جدران قصر الخلافة بعد أن تضخم رصيدها من التراث المدون، والمخطوطات المؤلفة المترجمة ، لتكون مكتبة عامة مفتوحة الأبواب للدارسين وطلاب العلم، وبدا فأسس دار رحبة ضخمة نقل اليها كل الذخائر وسماها " بيت الحكمة " تقديرا لجلال رسالتها ، وكانت هذه المؤسسة مؤسسة ثقافية كبرى تقوم بعمل جليل . فكانت مهمتها أول الامر الملازمة كما يقول ابن النديم ، ثم تطورت زمن المأمون حتى أصبحت مؤسسة علمية همها ترقية البحث والدرس والتجرد للدراسات العليا[٣].

شهد تطور الحركة الفكرية والثقافية في العصر العباسي ميلاد دور الحكمة التي كانت تعتبر مظهر لما وصل إليه الرقي الفكري، كما أن اسمها يعكس مدى الاحترام الشديد للعلم باعتباره مفتاح الحكمة، ويمكن القول مما يورده المؤرخون عن دور الحكمة: إنها كانت مركزا علميا للبحث والدراسة؛ ولذا نجد بعض الكتابات تطلق عليها اسم الجامعة ولها من الجامعة

---

(١) أنظر : **الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي** (١٦/ ٦٧، بترقيم الشاملة آليا)، **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، ٣٠٠.

(٢) د: سامي مكي العاني و د: عبد الوهاب محمد علي العدواني، **المكتبة تعريف بالمصادر الرئيسية والمساعدة في اللغة**، بغداد ، ١٩٧٩م، ١٥.

(٣) د. خضر أحمد عطا الله، **بيت الحكمة في عصر العباسيين**، القاهرة، شركة دار الإشعاع للطباعة، ط١، د.ت، عدد الصفحات ٥١٨، ٢٩.

وظيفة البحث والدراسة، فمدرسة الإسكندرية التي كانت الحاضرة الثقافية والفكرية للعصر الهليني بعد أثينا؛ وجمعت لها الكتب المؤلفة والمترجمة كما كانت مركزا للترجمة والنقل، وكان لها مدير يشرف على شئونها يسميه المؤرخون العرب صاحب بيت الحكمة ... وتوسع المأمون فيها وألحق بها عددا كبيرا من أشهر علماء عصره ومترجميه وأصبحت مركزا للترجمة والنسخ والمطالعة والتأليف، فكان يجتمع فيها القراء والمؤلفون للاطلاع على المصادر التي يريدون مراجعتها، ويجتمع فيها المترجمون للترجمة وبين أيديهم الكتاب الحذاق يكتبون ما يملون عليهم والنساخ في أماكن خاصة بهم ينسخون لأنفسهم أو لغيرهم بالأجر؛ وكانت بيوت الحكمة أكبر خزائن الكتب في العصر العباسي أخذت شهرتها ومكانتها من مكتبتها ومتحفها؛ وقد اجتمع في مكتبة بغداد العلماء والباحثون للبحث والدرس، ولجأ إليها طلاب العلم والمعرفة من كل حدب وصول، ودُرِّسَت بها علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها، وكان لذلك كله أثر واضح في تطور الثقافة العربية، وازدهار الحركة العلمية في ذلك الوقت، وبلغت هذه المكتبة ذروت نشاطها في عهد الخليفة المأمون، المتوفِّى سنة (٢١٨هـ) [١].

٢- التنظيم الإداري لبيت الحكمة:

فمن حيث التنظيم الإداري للمكتبة نريد التأكيد على أنها لم تكن على الأقل في ذلك الوقت مجرد مكتبة بل كانت أكاديمية تحتذي مكتبة الإسكندرية التي لاشك أنها تأثرت بها . وبالتالي فأن هذه الأكاديمية لابد وأنها كانت مقسمة إلى عدة أقسام أو إدارات هي :

أ- قسم المكتبة

ب- قسم البحث والتأليف

ت- قسم النسخ والتجليد

---

(١) أنظر : **الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي** (١٦/ ٦٧، بترقيم الشاملة آليا)، **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، ٣٠٠.

وربما كان قسم المكتبة هو المنوط به اقتناء الكتب من كل حدب وصوب وتنظيمها على الرفوف ومناولتها لمن يطلبها[١].

وكان تصميم المكتبة من الداخل عبارة عن غرف عديدة، تمتد بينها أروقة كثيرة، بينها أروقة طويلة، وكان في كل غرفة من هذه الغرف عمل محدد تقوم به، لا تقوم به غيرها فمن هذه الغرف:

أ – غرفة للكتب مزودة بأرفف تُصفُّ عليها الكتب.

ب – غرفة للمحاضرات والمناظرات.

ت – غرفة للاستراحة.

ث – غرف للمترجمين.

ج – غرف للناسخين.

ح – غرف للمجلدين والوراقين.

خ – غرف للخازنين والمناولين.

د – غرف خاصة للتدريس.

ذ – غرف لسكن طلاب العلم، وكان يصرف لهم الغذاء والكساء.

وقد قل الاهتمام بالمكتبة بعد وفاة المأمون، وانتقال مركز الخلافة إلى سامَرَّاء على يد الخليفة المعتصم بالله، المتوفَّى سنة (٢٢٧ هـ)، ثم حظيت ببعض العناية في عهد الخليفة المتوكل على الله، المتوفَّى سنة (٢٤٧ هـ).

أبرز المشتغلين في عصر الرشيد بدار الحكمة

١– يوحنا بن ماسويه : والذي تدرج فيها حتى تبؤ منصب أمانة الترجمة

٢ – الفضل بن نوبخت : أكبر المترجمين عن الفارسية

٣– علان الوراق : رئيس النساخين[٢].

---

(١) د. شعبان عبد العزيز خليفة، **الكتب والمكتبات في العصور الوسطى**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧، ط١، عدد الصفحات ٥٧٦، ٢٨٥.

(٢) د: سامي مكي العاني و د: عبد الوهاب محمد علي العدواني، **المكتبة تعريف بالمصادر الرئيسية والمساعدة في اللغة والأدب**، بغداد ، ١٩٧٩م ، ١٥.

٣- الأهداف المراد تحقيقها من تأسيس بيت الحكمة[١]:

١- **الازدهار الحضاري العظيم** : وذلك من خلال التشجيع العلمي والتزام الدولة الإسلامية بأداء واجبها في هذا الميدان وإقبال الأمة على العلم ،وتفتح القلوب للإسلام عقيدة ، وعبادة ، وشريعة ، وأخلاقا.

٢ – **الحفاظ على التراث العالمي وإنقاذه من الفناء** : وخير مثال على ذلك مؤلفات جالينوس ، حينما ترجمت مائة رسالة من رسائله إلى السريانية ، وتسعا وثلاثين رسالة أخرى ، بواسطة حنين بن اسحاق.

٣ – **الحرص الشديد على المحافظة على الكتب والمصنفات التي تترجم أو تصنف** : فقد ارتبط بظهور الحركة العلمية ونشاطها في بغداد المحافظة على الكتب والمصنفات، وكان العلماء في الدولة الإسلامية يودعون نسخاً من مؤلفاتهم في بيت الحكمة.

٤- العوامل التي ساعدت على إنشاء بيت الحكمة :

١ _ **النهضة العلمية** : فكانت بيت الحكمة في بغداد عنوان هذه النهضة ورمزا معبرا عنها وآية عزها.

٢– **دور الكتب العامرة في المشرق** : ومن أشهرها مكتبة المدرسة النظامية.

٣ – **اختيار الخليفة أحد البرامكة وزيراً له** : وقد عرف هؤلاء كيف يرغبون الخلفاء وحاشيتهم في تذوق الدراسات والكتب[٢].

٥- رواتب العاملين في بيت الحكمة :

كان يلحق ببيت الحكمة علماء لهم رواتب محددة وتنوعت اختصاصاتهم، ومن بين هؤلاء فلكيون، ذلك لأن المأمون الحق ببيت الحكمة مرصدا لإصلاح آلات الرصد، فقد كانت رواتب الموظفين الذين ينسخون وينقلون لدى وزير من وزراء الدولة يبلغ ألفي دينار في الشهر، ولذلك

---

(١) د. خضر أحمد عطا الله، **المرجع السابق**، ٤٠.

(٢) د. خضر أحمد عطا الله، **المرجع نفسه**، ٧٢.

أعتقد أن رواتب موظفي ومستخدمي لا اقل عن عشرين ألف دينار في الشهر وربما أكثر ذلك باستثناء النفقات الأخرى كثمن الحبر والورق وأجور التجليد وثمن الكتب الجاهزة وأثاث المكتبة.

٦- المواد الدراسية التي كانت تدرس في بيت الحكمة :

أ- العلوم الدينية : وقد كان لهذا الأمر الأثر الكبير في تطوير وتعميق المواضيع الدينية فعلوم القرآن الكريم والحديث والفقه.

ب- المواضيع الأدبية : كاللغة والنحو و الصرف والعروض والأدب.

ج – العلوم الرياضية : وهي تشمل الحساب والجبر والهندسة والمساحة وبالعلوم العقلية التي تضم المنطق وعلم الكلام[١].

وكان يوحنا بن ماسويه الذي جعله المأمون رئيساً لبيت الحكمة يعقد مجلساً للنظر، ويجري فيها من كل نوع من العلوم كالفلسفة ، والرياضيات ، والفلك ،والطب كما كان يدرس فيها ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون وقد تتلمذ على يديه حنين بن اسحاق فترة من الزمن . وهكذا كانت بغداد في علو كعبها في العلم حيث أصبحت القبلة التي توجه إليها رواد العلم من كل حدب وصوب في الدولة الإسلامية التي تحدثت بدورها الركبان وأسمعت شهرتها الأصم وطرقت أسماع القاصي والداني الأولى" بيت الحكمة "[٢].

٧- نموذج من منهج التدريس في بيت الحكمة :

أ- مرحلة الإعداد للالتحاق بالدراسة في بيت الحكمة.

ب- المرحلة العالية أو مرحلة الدراسة داخل بيت الحكمة.

أ- من سن ١٦إلى ١٤سنة :

---

(١) د. خضر أحمد عطا الله، **المرجع السابق**، ١٣٨.

(٢) د. خضر أحمد عطا الله، **المرجع نفسه**، ١٣٨.

تتم داخل الكتاب في منزل الفقيه (المعلم) أو الحوانيت ، ويتم فيها حفظ القرآن الكريم ، إجادة الكتابة والقراءة ، ودراسة قواعد اللغة .

ب- من سن ١٤ إلى ١٨ سنة :

وتتم داخل مدارس المسجد أو الحلقة ويدرس فيها بعض العلوم الدينية من فقه وتفسير وكلام ورواية حديث ثم معرفة الشعر وسير الأعلام والأخبار مع التفقه في اللغة والأدب والبيان والنقد.

ج- وبعد اتمام المرحلتين السابقتين يتم فيها التدريس عن طرق نظامين:

١- نظام المحاضرات

٢- نظام الحوار والمناظرة والمناقشة . يدرس فيها العلوم الفلسفية والطبية والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعة والجغرافيا والموسيقى .

والمدرس يحاضر في بعض العلوم في قاعات كبيرة ، والمعيد يساعد المدرس فيجتمع بفئة من الطلاب ويشرح لهم ما استغلق من المحاضرة ويناقشهم في مادتها والأستاذ أو الشيخ هو المرجع الأخير في موضوعه[١].

٨- لباس الخريجين و العلماء والشهادة التي تمنح لهم :

كان لباس الخريجين والعلماء عبارة عن عمامة سوداء وطيلسانا لعله الروب الجامعي اليوم، وكان هذا الزي ضروري للمدرسين والفقهاء تميزاً لهم عن غيرهم.

وإذا كان خريج بيت الحكمة قد أنهى دراسة علم من هذه العلوم السالفة الذكر يمنحه أستاذه إجازة تشهد بأن قد أتقن ذلك العلم ، فإذا كان من الممتازين فيه نصت الشهادة على أنه قد أجيز له تدريسه . فحق منح الشهادة كان والحالة هذه للأستاذ لا للمعهد[٢].

---

(١) د. خضر أحمد عطا الله، **بيت الحكمة في عصر العباسيين**، القاهرة، شركة دار الإشعاع للطباعة، ط١، د.ت، عدد الصفحات ٥١٨، ١٤٠.

(٢) د.يوسف العش ، **دُور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط** ترجمة عن الفرنسية : نزار أباظة و محمد صبّاغ، بيروت ، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، عدد الصفحات ٤٣٨، ٥٥ و٥٦.

٩- أمين ترجمة بيت الحكمة وعمله :

واكان اسمه علاّن الشعوبي وعمله يتلخص فيما يلي :

١- دراسة المؤلفات المكتسبة من الفتوحات ، ليختار من بينها تلك التي يجب أن تسلّم للترجمة.

٢- توزيع المؤلفات على المترجمين لنقلها .

٣- مراقبة عمل المترجمين ، وإيجاد الانسجام الضروري فيه .

٤- تقديمه إلى بيت الحكمة لأخذ الموافقة النهائية، وهناك يكتبه الناسخون ويتم إيداعه.

والخلاصة : فالترجمة التي كان مركزها بيت الحكمة، نظمت حسب مخطط منسق يشرف عليه أمين الترجمة ، وقد وزع العمل بين كبار المترجمين ، يساعدهم الكتّاب الذين يحتمل أنهم كانوا يهيئون لهم مسودّة الترجمة الأولى ، كما يُعين مدقق ليصحح الأخطاء اللغوية[١].

هناك مرادف لبيت الحكمة وهو " خزانة الحكمة " وهو يظهر للمرة الأولى في النص التالي " أبو الفضل بن نوبخت ، فارسي الأصل ... كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد ، ولهذا الرجل نقل من الفارسي إلى العربي ، ومعوّله في عمله على كتب الفرس "[٢].

١٠- الأشخاص الذين لقبوا بأصحاب بيت الحكمة :

الأول : سلمان الملقب بصاحب بيت الحكمة . أصله من حرّان وكان يعمل في هذه المؤسسة مع سهل بن هارون

الثاني : أحمد بن محمد وهو كذلك ممن لقبوا بصاحب بيت الحكمة .

وآخر من كان صاحب بيت الحكمة نعرفه هو الحسن بن مرار المسمى بالصنوبري والشاهد الذي يتعلق بموضوعه يرويه ابن عساكر " ونقله بنصبه ابن شاكر الكتبي ، وهو هذا : " قال الحلبي الصفري : سألت الصنوبري (والكلام هنا لحفيد شخصنا) عن السبب الذي من أجله نسب جده إلى الصنوبري ، حتى صار معروفاً به ، فقال لي : كان جدي صاحب بيت الحكمة

(١) د. يوسف العش ، **المرجع السابق**، ٥٥ و٥٦.

(٢) د. خضر أحمد عطا الله، **المرجع السابق**، ١٣٨.

من بيوت حكم المأمون ، فجرت له بين يديه مناضرة ، فأستحسن كلامة وحده مزاجه ، وقال له إنك لصنوبري الشكل ، يريد بذلك الذكاء وحدّة المزاج[١] .

١١- بيت الحكمة نموذج رائع للمدارس الإسلامية في النواحي العلمية والتعليمية :

يُعد بيت الحكمة من أعظم المعاهد الثقافية حيث التعليم العالي فيها فكانت بيت الحكمة أول دار للدراسة العالية في الإسلام فهو علاوة على كونه دار ترجمة كان معهد ا للعلم ، دار كتب عامة ، بدأ بيت الحكمة أول ما بدأ بوظيفة مكتبة عامة فأصبح لهذه المكتبة العامة شأن في العالم الإسلامي ، ثم تطور وأصبح أول جامعة إسلامية أجتمع فيها العلماء والباحثون ولجأ إليها الطلاب وكانت تجرى فيها الأبحاث والدراسات العليا فأصبحت مؤسسة علمية للثقافة العالية أكثر كتبه في الفلسفة والمنطق والطب والنجوم والرياضيات وغيرها من الكتب العلمية المختلفة ، ثم أرتقت دار الحكمة من مجرد دار للترجمة والإنتاج الفكري وكثر المترجمون في هذه الدار في عصر المأمون ، وكانوا يقومون بحواجبهم العلمي ويتبادلون وجوه الرأي ، كذلك كانت هناك أعمال أخرى يقوم بها بيت الحكمة منها : تجليد الكتب التي تتم عملية تعريبها أو عملية نسخها بأكثر من نسخة لتوزيعها على المكتبات المعروفة آنذاك خارج بغداد أو بيت الحكمة التو نسى في رقادة ، أو دار الحكمة في القاهرة[٢].

١٢- العلوم الإسلامية في بيت الحكمة :

أولاً : علم الكلام :

علم الكلام وهو من العلوم التي ازدهرت في بغداد في العصر العباسي ويتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعين والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وأساس هذه العقائد الإيمانية تكمن في التوحيد ، ويقدم في برهان عقلي.

---

(١) د. خضر أحمد عطا الله، **المرجع السابق**، ٧١.

(٢) د. خضر أحمد عطا الله، **المرجع نفسه**، ٧١.

ثانياً : علم المنطق :

المنطق مشتق من النطق، وهذه اللفظة تقال عند القدماء على ثلاثة معان :

أحدها القول الخارج للصوت، والثاني القول المركوز في النفس، والثالث القوة النفسانية في الانسان التي بها يميز التمييز الخاص بالإنسان دون الحيوان وهي التي بها يحصل للإنسان بالمعتقدات ، وأن المنطق يعطى قوانين في المنطق بأنواعه الثلاثة المذكورة .

ثالثاً : علم الفلسفة :

كان للفلسفة شأن عظيم في العصر العباسي، فأشتغل بها أكثر الذين عنوا بعلوم القدماء ولاسيما الأطباء منهم وكان الفلاسفة في هذا العصر متهمين بالألحاد والتعطيل فكان الانتساب إلى الفلسفة مرادفا إلى الانتساب إلى الكفر، وشاعت النقمة على الخليفة المأمون لأنه كان السبب في نقل الفلسفة إلى اللغة العربية حتى قال فيه ابن تيمية : " ما أظن الله بغافل عن المأمون، ولابد أن يعاقبه على ما أدخله على هذه الأمة[١].

١٣- دمار مكتبة بيت الحكمة :

وظلت المكتبة قائمة حتى دهم المغول بغداد سنة (٦٥٦هـ)، وهدموا ما فيها من منشآت، ورموا بكل ما فيها من الكتب في نهري دجلة والفرات حتى قيل أن ماءه أسود ثلاثة أيام؛ وكانت المكتبة فيما تهدم، وأحرقت كتبها، وطُمست معالمها، بعد أن ظلت ما يزيد على أربعة قرون ونصف القرن جامعة إسلامية ومنارة للعلم والعلماء[٢].

---

(١) د. خضر أحمد عطا الله، **المصدر السابق**، ٢٦٨.

(٢) أنظر : **الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي** (١٦/ ٦٧، بترقيم الشاملة آليا)، **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، ٣٠٠.

ثانياً : مكتبة قرطبة الضخمة بالأندلس :

إن التأريخ للمكتبات الإسلامية تأريخ للفكر الإسلامي طوال حقبه المختلفة، وذلك لأن الدور الذي لعبته المكتبات في تاريخ الحضارة ولا سيما في القرن الرابع الهجري جد وخطير، فقد قامت هذه المكتبات بنشر الثقافة الإسلامية وتوطيد الصلات العلمية بين المسلمين وغيرهم من شعوب أوروبا، فقد امتدت إشعاعات هذه المكتبات لتبدد دياجير الجهل التي رانت على عقول أهل هذه القارة خلال القرون الوسطى، مما كان لها أكبر الأثر في بناء الفكر الأوربي وتوجيهه وجهة حضارية، ما زال الأوروبيون إلى اليوم ينعمون بجني ثمارها.

وتشير روايات التاريخ الأندلسي إبان تلك الحقبة التاريخية أن مكتبة كبرى قد تكونت في قرطبة في عهدي الخليفتين عبد الرحمن الناصر الأموي وابنه الحكم المستنصر، قد ضارعت في عظمتها وتأثيرها الثقافي أشهر مكتبات ذلك العصر في بغداد والإسكندرية والقيروان وغيرها من مكتبات، وقد حظيت هذه المكتبة باعتناء الأمراء والخلفاء من بني أمية، فكانوا يشجعون العلماء والأدباء وأرباب الفكر في أي مكان، ويغدقون عليهم العطايا والهبات حتى تم لهم استقطاب كل حركة علمية أو فكرية بزغت في أي بلد من البلدان وشجعوا أهلها في الهجرة إلى الأندلس حتى غدت قرطبة خلال هذه الفترة مهرجانا علميا وثقافيا كبيرا يموج بالعلماء والأدباء والمفكرين في شتى المجالات.

فلا غرو إذا أن تحظى مكتبة الأمويين بدراسة موضوعية جادة توضح الأثر الحضاري الذي لعبته في ازدهار الحضارة التي نعم بها مسلمو الأندلس وفاضت بخيرها على شعوب أوربا، متخطية كل الحواجز المكانية والعنصرية لتمديد العون لهذه الشعوب، وتزيد من حصيلة إبداعها الفكري وتنشطه، وتساهم بدورها الإنساني الفريد في دفع حركة التقدم الحضاري لشعوب الأرض والتي لا سبيل لها سوى نشر المعرفة وتنمية الصلات العلمية والودية بين الأمم والشعوب.

ومن هذا المنطلق انفتحت نوافذ الفكر الإسلامي في الأندلس أمام الشعوب الأوروبية، وأقبل طلاب العلم وعشاق المعرفة للاغتراف من معينه والنهل من موارده التي لا تنضب، وبدأت عملية الاحتكاك الثقافي والعلمي في أجمل صورها، وتعددت وسائل التأثير والنقل العلمي في شتى مجالات العلم والمعرفة.

وكان لهذا الاحتكاك الثقافي والتأثر العلمي بثقافة المسلمين الراقية آثاره الواضحة، والتي يمكن رصدها في تاريخ الفكر الإسباني خاصة، والفكري الأوربي عامة حتى وقتنا الحالي، وقد اعترف المنصفون من المفكرين والباحثين الإسبان وغيرهم بهذه الحقيقة التي لا مراء فيها، والتفصيل على النحو التالي:

١- نشأة المكتبة وتطورها :

اشتهرت الأسرة الأموية بحبها للعلم وإكبارها للعلماء، ويظهر ذلك واضحا منذ أن وطئت أقدامهم أرض الأندلس، فكان عبد الرحمن الداخل (١٣٨ هـ ٧٥٦ م) – وهو أول أمير أموي – معروفا باتساع ثقافته وحسن قريضه للشعر وتقربه من العلماء، وقد اتخذ من قرطبة دارا لإمارته وقام بتجميلها وإحاطتها بسور كبير، وشيد بها المباني الضخمة والحمامات والفنادق، وانبنى بظاهرها قصر الرصافة[١] وبرزت قرطبة بدورها الحضاري وغشيها العلماء والأدباء من كل بلد.

ونهج الأمراء الأمويون من بعده نفس النهج في عنايتهم بالعلم والأدب ونشر الثقافة الإسلامية بين شعوبهم، فقد أشار ابن سعيد إلى أن مكتبة كبرى للأمويين أسست في قرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم " الأوسط " (٢٠٦ هـ – ٨٢١ م) وقد زودها بكتب كثيرة اشتراها من المشرق الإسلامي[٢]، وعلى ما يبدو أن هذه المكتبة كانت النواة الأولى لمكتبة الخلافة الأموية الكبرى في قرطبة، والتي تألقت في القرن الرابع الهجري، ولا غرو أن تتألق مكتبة الأمويين في هذه الحقبة التاريخية ويبرز دورها الحضاري واضحا، وقد أولاها الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم جل اهتمامهما وعظيم رعايتهما، فإن شغفهما الكبير بجمع الكتب قد طبقت الآفاق ووصلت إلى مسامع الناس في كل مكان. فها هو الإمبراطور "قسطنطين" السابع حاكم بيزنطة لم يجد شيئا يتقرب به إلى قلب الناصر حينما عزم على عقد معاهدة معه سوى أن يهديه كتابا جديدا لم يعرفه من قبل، وهو كتاب "ديوسقوريدس" في الطب، وجاءت رسله إلى قرطبة تحمل ذلك الكتاب في مجلد جميل مكتوبا باللغة الإغريقية، وقد ذهبت حروفه، وزينت صفحاته بالرسوم الجميلة لبعض النباتات والأشجار التي ورد ذكرها في الكتاب، ولم يكتف إمبراطور

---

(١) أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ط ٦، ٤/٤١.

(٢) ابن سعيد، **المغرب في حلي المغرب**، ١/٤٤ – ٣٥٢.

بيزنطة بذلك، بل أوفد بعد ذلك "نقولا الراهب" ليقوم بترجمته من اللغة الإغريقية إلى اللغة العربية[١].

وإذا كان هذا هو شأن الناصر، فإن ابنه الحكم لم يكن أقل منه شأنا في هذا الصدد، فقد بلغ حرصه على اقتناء الكتب أنه كان يبذل جهدا كبيرا في الحصول عليها أو شرائها قبل أن تظهر أو تشيع في مواطنها ". . . وكان يبعث في الكتب إلى الأقطار رجالا من التجار، ويسرب إليهم الأموال لشرائها حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه "[٢] وقد أرسل إليه رجاله الذين بعثهم إلى المشرق لاقتناء الكتب أن أبا الفرج الأصفهاني قد أوشك أن ينتهي من تأليف كتابه "الأغاني" فبعث إليه ألف دينار من الذهب، وحصل منه على نسخة مبكرة من ذلك الكتاب قبل أن يشيع في العراق[٣].

وقد أثمرت جهود الحكم عن تكوين مكتبة كبرى لم يحفل بمثلها حاكم من قبل، حيث غصت خزائنها بالعديد من الكتب النادرة، يقول في وصفها ابن حزم: " أخبرني بكية الخصي – وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان – أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، وفي كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا أسماء الدواوين فقط، وأقام للعلم والعلماء سلطانا نفقت فيها بضائعه من كل قطر "[٤].

ولم تقتصر همة هذا الخليفة على جمع الكتب فقط، وإنما كان على قدر كبير من الفهم والإدراك لما تحتويه من معلومات وأفكار، وكان يقضي أغلب وقته في القراءة والاطلاع، وقد ضاقت بها خزائن مكتبته، واستغرق نقلها ستة أشهر[٥].

---

(١) خوليان ريبيرا، **التربية الإسلامية في الأندلس**، ترجمة الطاهر أحمد مكي دار المعارف، ١٩٠، مجلة البحوث الإسلامية (١٧/ ٣٣٨).

(٢) ابن خلدون، **تاريخه**، ١٤٦/٤ القاهرة ١٢٨٢هـ.

(٣) جودة هلال، محمد محمود فاس، **قرطبة في التاريخ الإسلامي**، ط، ١٩٦٢م، ٨٠.

(٤) ابن خلدون. **تاريخه**، جـ ١٤٦/٤.

(٥) المقري، **نفح الطيب**، ٣٩٤/١، ٣٩٥.

والغريب أنه لا يقوم بقراءة هذه الكتب فحسب، وإنما كان يعلق على كل كتاب يقرأه بخط يده، ويدلي فيه برأيه، وكان يكتب عليه اسم صاحبه وكنايته وألقابه ونسبه ومولده ووفاته، وما يستتبع ذلك من غرائب وحكايات صادفت المؤلف في حياته[١].

وهواية جمع الكتب واقتنائها لم تكن وقفا على الأمراء والخلفاء والأمويين على نحو ما وضحنا، وإنما كانت هواية قد تأصلت أيضا في نفس الشعب الأندلسي قبل حكامه، حتى صارت عندهم من علامات الرفعة والسؤدد، لا يستغني الرجل منهم عن تأسيس مكتبة في بيته حتى وإن لم يكن على قدر من المعرفة[٢] فكل همه أن يقال عنه : فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره، والكتاب الذي بخط فلان قد تحصل عليه وظفر به، ولعل في القصة التي رواها المقري نقلا عن الحضرمي الذي غشى سوق الكتب في قرطبة لشراء أحد الكتب ما يؤكد هذه الهواية: " قال الحضرمي: أقمت بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع وهو بخط فصيح وتفسير مليح، ففرحت به أشد الفرح، فجعلت أزيد في ثمنه، فيرجع إلى المنادي بالزيادة إلى أن بلغ فوق حده، فقلت له: يا هذا. . . أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما يساوي، قال: فأراني شخصا عليه لباس رئاسة، فدنوت منه وقلت له: أعز الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك، فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده، قال: فقال لي: لست بفقيه، ولا أدري ما فيه، ولكني أقمت خزانة كتب، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يساوي هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته، ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير. قال الحضرمي: فأحرجني وحملني على أن قلت له: نعم لا يكون الرزق كثيرا إلا عند مثلك " يعطى الجوز لمن لا أسنان له " وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلا، وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه[٣].

---

(١) المقري، **نفح الطيب**، ١/ ٣٩٥.

(٢) **مجلة البحوث الإسلامية**، (١٧/ ٣٣٩).

(٣) المقري، **نفح الطيب**، ٤٦٣/١.

تلك هي هواية جمع الكتب التي تمكنت في قلوب الأندلسيين، وكان لها أكبر الأثر في نشر الثقافة الإسلامية ومحو أمية الكثيرين منهم، ويقول " دوزى ": إن أغلب الناس في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي أصبحوا قادرين على القراءة والكتابة(١).

ولكن الأحداث التي توالت على الخلافة الأموية بعد عهد المستنصر قد أثرت على هذه المكتبة تأثيرا بالغا، حيث قام المنصور بن أبي عامر بحرق كتب الفلسفة والفلك ليرضي فقهاء الأندلس ويكسب تأييدهم له(٢)، وحين قضي على خلافة بني أمية وزال ملكهم وتوزعت الأندلس إلى دويلات، وبدأ ما عرف في التاريخ بعصر الطوائف، بيعت تلك المكتبة وتوزعت كتبها في دويلات الأندلس القائمة آنذاك(٣)، وعلى الرغم من مرارة هذه الأحداث التي أودت بمكتبة الأمويين في قرطبة، فإن هواية جمع الكتب والنهضة العلمية والأدبية التي نماها الخليفة الناصر وابنه الحكم لم تتوقف، فقد انتهى الحال بهذه المكتبة إلى أيدي عشاق الكتب، وانتهى بها المطاف إلى خزائنهم في إشبيلية والمرية وبطليوس وطليطلة وسرقسطة وبلنسية وغيرها من أمراء الطوائف الذين عبروا عن هويتهم العلمية والأدبية، وكانوا سببا في تعدد المكتبات الخاصة في بلاد الأندلس، حيث كثر هواة الكتب وراجت تجارة الوراقة، ويكفي أن نضرب لذلك مثلا واحدا، فقد ذكر المؤرخون أن الوزير أحمد بن عباس جمع في مكتبته بالمرية وحدها ما يزيد على الأربعمائة ألف كتاب، فضلا عن الرسائل والكراسات(٤).

ونخلص من هذا السرد التاريخي لمكتبة الأمويين في قرطبة أنها قامت بدورها الحضاري في نشر الثقافة الإسلامية إبان القرن الرابع، وظل تأثيرها في تحبيب الأندلسيين لجمع الكتب واقتنائها وحفظ التراث العربي والإسلامي باقيا، حتى بعد انتهاء عصر خلافة بني أمية وزوال مكتبتهم في قرطبة، حيث بدأ ملوك الطوائف يقلدون الخلفاء الأمويين في تعلقهم بالعلم والعلماء، وتشجيع الكتاب والمؤلفين، وجمع الكتب النادرة، وإقامة المكتبات الخاصة بحواضرهم والتي تليق بجلال القدر وأبهة الحكم في عواصمهم، ففي الوقت الذي انعدمت فيه مركزية الحكم، تعددت المكتبات

---

(١) محمد ماهر حمادة، **المكتبات في الإسلام**، ط ٢، ١٩٧٨م، ٩٩.

(٢) ابن خلدون، **تاريخه**. ١٤٦/٤.

(٣) خوليان ريبيرا. **التربية الإسلامية في الأندلس**، ترجمة الطاهر أحمد مكي دار المعارف، ١٥٦، مجلة البحوث الإسلامية (١٧/ ٣٤٠).

(٤) خوليان ريبيرا، **التربية الإسلامية في الأندلس**، ١٥٦.

الكبرى بتعدد الدويلات التي أقامتها ملوك الطوائف، وحوت خزائنهم الآلاف من المجلدات والمخطوطات النادرة في شتى فروع العلم والمعرفة، وظلت هواية جمع الكتب التي وضع أساسها الخليفة الناصر متمكنة في نفوس الناس بالأندلس طوال حكم المسلمين بها إلى أن استولى الملك فرناندو على غرناطة – آخر معقل إسلامي في الأندلس – وفي عام ١٤٩٢م أصدر أمره بجمع المخطوطات الإسلامية من أيدي المسلمين، وجمع منها وقتذاك مليونين من المخطوطات وتم إحراقها في ميدان باب الرملة في غرناطة على مشهد ومرأى من الجماهير[١].

٢- تنظيم المكتبة :

كانت مكتبة الأمويين في قرطبة دارا علمية بمعنى الكلمة، فلم تكن مجرد دار لخزن الكتب وفهرستها على نحو ما هو مألوف الآن فقط، وإنما نظمت تنظيما دقيقا لتوفر الغاية المرجوة منها، وقد أقيمت هذه المكتبة بقصر الخلافة في قرطبة، وإن كانت المصادر التي وقعت بين أيدينا لم تمدنا بمعلومات وافية عن وصف بناء المكتبة، إلا أنه من المرجح أن بناءها قد لقي عناية فائقة من الناصر الذي عني بقصر قرطبة عناية عظيمة، حتى قيل إنه لم يبق فيه (بنية إلا وله فيها أثر محدث إما بتجديد أو بتزييد) [٢]، وحسبك ببناء يتسع لأربعمائة ألف كتاب فكيف يكون اتساعه وعدد حجراته؟ لقد كانت عدد غرف مكتبة الخلفاء الفاطميين أربعين غرفة في قصورهم الداخلية[٣]، فمن المحتمل أن تكون عدد غرف مكتبة الأمويين في قصر الخلافة مساويا له إن لم يفقه عددا، وقد زودت بالبسط والسجاجيد والستائر والمقاعد، ونظمت حجراتها على نحو يكفل الراحة لروادها، فكانت هناك غرفا للمطالعة وأخرى من أجل المناظرات والاجتماعات والبحث، ومخازن خاصة لخزن الكتب قد أعدت إعدادا خاصا، ونوعا آخر من الغرف تضم الهيئات العاملة في المكتبة عن النساخين والرسامين والخطاطين والمترجمين والمدققين وغيرهم، وقد زودت هذه الحجرات بما يلزم العاملين من أحبار وأوراق وأدوات كتابية وأصماغ وأصباغ. ولعل في وصف المقري لمكتبة الحكم وإن كان مختصرا ما يعضد وصفنا لها: " وقد جمع في

---

(١) أحمد فكري، **قرطبة في العصر الإسلامي**، ط١، ١٩٨٣م، ١٧٩.

(٢) أحمد فكري، **المصدر نفسه**، ١٧٩.

(٣) محمد ماهر حمادة، **المكتبات في الإسلام**، ط ٢، ١٩٧٨م، ١٤٨.

قصره الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد فأوعى في ذلك كله[١]"، وسوف نقوم الآن بوصف سريع لأهم أقسام المكتبة لنقف على كيفية إعداد الكتب فيها[٢].

(أ) قسم الترجمة :

يضم هذا القسم أعدادا كبيرة من المترجمين المجيدين للغات الإغريقية[٣]، واللاتينية والإسبانية وغيرها، وكان أغلبهم من النصارى والصقالبة واليهود، وقليل من المسلمين، نذكر منهم: عبد الله الصقلي، ومحمد النباتي، والبسياسي، وأبا عثمان الخزار الملقب باليابسة، ومحمد بن سعيد، وعبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم، وحسداي بن شبروط[٤]، وقد ساهمت هذه المجموعة في ترجمة كتاب الطب الذي أهداه إمبراطور الروم إلى الخليفة الناصر والذي سبق الحديث عنه، وكان الخلفاء الأمويون يعتنون بهذا القسم أشد الاعتناء، يجزلون العطاء للعاملين فيه مما ساعد على ترجمة العديد من الكتب الإغريقية في مجالات الطب والهندسة والفلسفة والفلك وغير ذلك في مجالات العلوم المختلفة[٥].

(ب) قسم التدقيق والمراجعة :

يعمل في هذا القسم نخبة من العلماء المعروفين بغزارة علمهم ودقة استنباطهم وحذقهم في القياس، والضاربين بقسط وافر في اللغة والأدب وعلوم الدين وعلوم الحياة، كل حسب تخصصه ومواهبه، وكانت مهمة هذا القسم مراجعة الكتب وتصحيحها والتعليق عليها بعد نقدها وتفنيدها، نذكر منهم: الرباجي محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي النحوي، وكان ضليعا في علم النحو، وقد استأدبه الخليفة الناصر على ابنه المغيرة، وفي عهد الحكم زاول مهنة المراجعة والتدقيق في مكتبته وأوسع له هذا الخليفة في الجراية والعطاء[٦].

---

(١) المقري، **نفح الطيب**، ٣٨٦/١.

(٢) **مجلة البحوث الإسلامية**، (١٧/ ٣٤١)

(٣) **مجلة البحوث الإسلامية**، (١٧/ ٣٤٢)..

(٤) خوليان ريبيرا، **التربية الإسلامية في الأندلس**، ترجمة الطاهر أحمد مكي دار المعارف، ١٩١.

(٥) **مجلة البحوث الإسلامية**، (١٧/ ٣٤٢).

(٦) ابن القرضي، **تاريخ العلماء**، طبعة الدار المصرية ترجمة رقم ١٢٩٢.

ومن المدققين أيضا محمد بن أبي الحسين الفهري القرطبي، ومحمد بن معمر الجياني، وكانا خبيرين في النحو وعلم اللغة، وقد كلفهما الحكم بتدقيق وتهذيب ما لم يهذبه أبو علي القالي من كتابه " البارع في اللغة " حيث قام المؤلف بتصحيح كتاب الهمزة وكتاب العين، ثم توليا المدققان الباقي منه بالتصحيح والتهذيب، ولما اكتمل الكتاب، خرج بخط فصيح في مائة وأربعة وستين جزءا وعدد أوراقها أربع آلاف وأربع مائة وست وأربعون ورقة، ورفعاه إلى الحكم المستنصر الذي قام هو أيضا بالمقابلة بينه وبين كتاب العين للخليل بن أحمد، وأضاف عليه إضافات أخرى(١).

(جـ) قسم الوراقين :

يضم هذا للقسم مجموعات كبيرة من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب وتزيينها بالصور وتجليدها ثم عرضها في المكتبة، نذكر منهم الأديب اللغوي محمد بن أبي الحسين الفهري، وعباس بن عمرو بن هارون الصقلي، الذي عينه الحكم وراقا في مكتبته، وكان يأنس إليه كثيرا ويوسع له في الرزق(٢).

ومما ساعد على ظهور مهنة الوراقة هذه والتي لعبت دورا بارزا في تكوين مكتبة الأمويين ظهور الورق وانتشاره في الأندلس، حيث تأسس أول مصنع لصناعة الورق عام ٣٣٨هـ – ٩٥٠م في مدينة شاطبة ينتج جمع أنواع الورق بما فيها الأبيض والملون(٣)، والذي ساعد بطبيعة الحال على تأليف الكتب، وسهل تداولها بين الناس، جعل أهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة(٤)، وأعمال النسخ من الأعمال الأساسية للوراقين، وقد أعدت لهم غرف خاصة، زودت بمستلزمات النسخ من مقاعد ومحابر وأقلام وأوراق، ويشترط فيمن يمتهن مهنة النسخ جودة الخط ووضوحه وصحته، وأن يكون على حظ كبير من المعرفة والثقافة، حاضر الذهن يقظا متنبها لما يكتب، معروفا بالأمانة والصدق بين الناس.

---

(١) خوليان ريبيرا، **التربية الإسلامية في الأندلس**، ترجمة الطاهر أحمد مكي دار المعارف، ١٩٢.

(٢) المقري، **نفح الطيب**، ١١١/٣.

(٣) محمد ماهر حمادة، **المكتبات في الإسلام**، ط٢، ١٩٧٨م، ٧٤.

(٤) أحمد أمين، **ظهور الإسلام**، ٣ /١٣.

وطريقة النسخ المتبعة غالبا أن يقوم الناسخ بنسخ المخطوط مباشرة من مخطوط آخر أمامه، فإذا انتهى من نسخه يدفعه إلى قسم المراجعة والتدقيق للتأكد من صحة ما نسخ، وإذا ما طلب أكثر من نسخة كان يجلس مجموعة من النساخ بعدد النسخ المطلوبة، ويملي عليهم شخص آخر من المخطوط المراد نسخه، ثم تدفع النسخ جميعها للمراجعة والتدقيق[1]، فإذا ما انتهى النساخ من عملهم تمر الكتب على قسم الزخرفة لتزيين صفحاتها وتحليتها بالذهب والفضة وبعض الرسومات الجميلة، ثم تمر بعد ذلك إلى قسم التجليد ليبطن بعضها بالديباج والحرير، ثم تجلد بالأدم الجيد المجلوب من مدينة مالقة بالأندلس، والتي كانت من أكبر مراكز صناعة الجلود الفاخرة والتجليد الممتاز[2].

(د) قسم الفهرسة :

يقوم هذا القسم بفهرسة الكتب التي في المخازن وتصنيفها وتنظيمها حتى يسهل تناولها واستعمالها، وقد كانت مكتبة الأمويين مرتبة حسب المواضيع، فقد كان لكل موضوع فهارسه الخاصة، وهو نظام قريب من الفهرسة الموضوعية السائدة الآن في بعض المكتبات، ويتميز هذا النوع من الفهرسة بالسهولة وسرعة حصر محتويات المكتبة، فهي مكتوبة في مجلدات تستعمل كالكتب يمكن الرجوع إليها بسهولة، فلا غرو أن يرد في بعض الروايات العربية حصرا لأمهات الكتب في مكتبة الحكم، فيروي المقري نقلا عن ابن حزم (أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، وفي كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا أسماء الدواوين) . وهذه الفهارس هي على ما يبدو فهارس الدواوين الشعرية، فكيف يكون إذن سائر الموضوعات من فلسفة وعلوم دينية ونحوية وتاريخية وطبية وعلمية. . إلخ؟[3].

(هـ) قسم التأليف :

مهمة هذا القسم الإشراف على تأليف الكتب لحساب المكتبة الأموية، وينحصر عمله في اتجاهين: تلقي المؤلفات من خارج الأندلس، أو يوصى بالتأليف لأحد العلماء المبرزين في

---

(١) محمد ماهر حمادة، **المكتبات في الإسلام**، ١٧٦.

(٢) محمد ماهر حمادة، **المرجع نفسه**، ١٨٣.

(٣) **مجلة البحوث الإسلامية** (١٧/ ٣٤١).

الأندلس، ومن أمثلة الاتجاه الأول مراسلة أبي الفرج الأصفهاني صاحب كتاب "الأغاني" للحصول منه على أول نسخة من هذا الكتاب، كما وضحنا سابقا، بل كانوا في بعض الأحيان تتم مراسلة مع المؤلف نفسه وإغرائه بالهجرة أو الرحيل إلى الأندلس، كما حدث مع أبي علي القالي صاحب كتاب (الأمالي) الذي ترك العراق ورحل إلى الناصر الأموي واستقبله استقبالا طيبا في قرطبة، وكان يتم الاتصال بين المؤلفين في المشرق الإسلامي عن طريق بعض الرسل المبعوثين على نفقة الخلافة الأموية، وكان أغلبهم ممن يمتهن الوراقة ولهم دراية بصناعة الكتب، وينتشرون في البلدان لانتخاب غرائب التواليف والبحث عنها ومن جملة هؤلاء الرسل: محمد بن طرخان في بغداد(١)، وأبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان، وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي في مصر، وهما من أكبر فقهاء المالكية، وكان الحكم يدر عليهما أموالا كثيرة لاقتناء الكتب النادرة التي تظهر لدى علماء مصر، ومن أمثلة الاتجاه الثاني، وهو تكليف بعض علماء الأندلس التأليف في تخصصات معينة، أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن يحيى الذي ألف للحكم كتبا في الفقه(٢)ومحمد بن الحارث الخشني. الذي ألف لمكتبة الأمويين مجموعة ضخمة من الكتب منها "تاريخ قضاة قرطبة" وقد نقل عنه ابن الفرضي في كتابه (تاريخ علماء الأندلس) كثيرا في تراجم الرجال، ومن كتبه أيضا: فضائل الإمام مالك، ومناقب سحنون، وفقهاء المالكية، وتاريخ الأفريقيين، وكتاب الرواة عن مالك، وكتاب التعريف وكتاب الاقتباس، وكتاب المولد والوفاة، وكتاب النسب، وأغلب هذه الكتب تعد من كتب الطبقات التي تثبت غزارة علم الخشني وقوة إدراكه بالأخبار وأسماء الرجال وأنسابهم، ومن مصنفات الخشني في الفقه: كتاب الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك، وكتاب رأي مالك الذي خالفه فيه أصحابه وكتاب الفتيا، وكتاب المحاضر، وكتاب التحاصر والمغالاة، وهذه المجموعة من كتب الفقه على ما يبدو كانت بتكليف من الناصر الأموي وابنه الحكم؛ لتدعيم المذهب المالكي مذهب أهل السنة والجماعة في الأندلس، وذلك للوقوف أمام دعاة المذهب الإسماعيلي الذي حاول الفاطميون في الشمال الأفريقي تسريبه إلى الأندلس(٣).

---

(١) **مجلة البحوث الإسلامية**، (١٧/ ٣٤٥).

(٢) المقري، **نفح الطيب**، ٢١٨/٢.

(٣) **مجلة البحوث الإسلامية**، (١٧/ ٣٤٥).

(و) برمجة التأليف:

والمتأمل في أغلب المصنفات التي صنفت لمكتبة الأمويين بناء على طلب الخليفة الناصر وابنه الحكم، يقف على ملاحظة هامة جديرة بالدراسة الموضوعية وهي ربط التأليف الخاص بالمكتبة بالاتجاهات العامة والسياسة العليا للدولة سواء على الصعيد المحلي أو الصعيد الخارجي، فقد تألق نجم الدولة وبلغت ذروة مجدها في عصر الناصر مما دفعه إلى إلغاء[١]، نظام الإمارة وإعلان الخلافة الأموية، وبذلك أظهر استقلال بلاده وانفصالها سياسيا عن الخلافة العباسية في بغداد، واستتبع ذلك أن يبرز شخصية بلاده العلمية في إطار مستقل عن المشرق الإسلامي، فنرى الناصر يكلف العالم الأندلسي "مطرف بن عيسى الغساني" أن يؤلف كتابا عن كور الأندلس فيؤلف له كتاب "المعارف في أخبار كورة البيرة وأهلها وبوائرها وأقاليمها وغير ذلك من منافعها"[٢].

ثم ينحى التأليف بعد ذلك منحى جديدا، وتظهر بعض الكتب الأندلسية التي تعارض الكتب المشرقية، فنرى ابن فرج الجياني الأديب الأندلسي المعروف يؤلف كتابا سماه (الحدائق) عارض فيه كتاب (الزهرة) لابن داود الأصفهاني، وكان كتاب ابن داود يتكون من مائة باب في كل باب مائة بيت من الشعر، أما كتاب الجياني فقد جاء في مائتي باب، في كل باب مائتا بيت من الشعر ليس في أبوابه تكرار، وكل أشعاره من شعر الأندلسيين، وقد أثنى عليه ابن حزم قائلا: "أحسن الاختيار ما شاء، وأجاد فبلغ الغاية، فأتى الكتاب فردا في معناه"[٣].

ثم تظهر النزعة القومية في التأليف، وتظهر بعض المؤلفات الخاصة بتاريخ بني أمية في المشرق والمغرب، فنرى الخليفة الحكم المستنصر يكلف عبد الله بن محمد بن الصفار الأديب الأندلسي أن يؤلف في أشعار خلفاء بني أمية على غرار كتاب الصولي الذي ألفه في أشعار بني العباس، ويهتم الخليفة الأموي بهذا الأمر اهتماما بالغا، إلى درجة أنه أمر بأن يفرد له مكان في دار الخلافة المطلة على النهر، وانكب ابن الصفار على دراسة أشعار بني العباس أولا، ثم

---

(١) **مجلة البحوث الإسلامية**، (١٧/ ٣٤٦).

(٢) ابن بشكوال، **الصلة**، ترجمة رقم ١٣٦٧.

(٣) الضبي، **بغية الملتمس**، ترجمة رقم ٣٣١.

قام بتأليف الكتاب الذي كلف به في مجلد صالح، ثم خرج به الحاجب إلى الحكم فسر به سرورا عظيما[١].

وكانت لسياسة الأمويين تجاه أعدائهم الفاطميين في الشمال الأفريقي أثرها الواضح في برمجة التأليف، فكان الخليفة الناصر يخشى أن تتسرب مبادئ التشيع إلى بلاده، وتعدد الفرق المذهبية بها، وتصاب الأندلس من جراء ذلك بتمزق جبهته الداخلية، التي وحدها المذهب المالكي، مذهب أهل السنة والجماعة في هذه[٢]، البلاد؛ لذا نراه يحظر على علماء الأندلس التأليف في مسائل الفلسفة أو الفكر الاعتزالي أو الشيعي، حتى استقر في أذهان الأندلسيين أن تناول أمثال هذه الأفكار تعد كفرا وخروجا عن الدين القويم، ويروي المقدسي عن الأندلسيين قولهم: "لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك"[٣]، وظل هذا الحظر قائما طوال عهد الناصر مدعما من السلطة الحاكمة من جهة، ومن حرص فقهاء المالكية على سلامة العقيدة من جهة أخرى إلى أن رحل الفاطميون إلى مصر، وبعد رحيل الفاطميين إلى مصر نهجت الحكومة الأموية نهجا آخر في التأليف، حيث أمر الحكم باتساع حركة التأليف لتشمل شتى أنواع الفكر – بما فيه فكر خصومه من الفاطميين – حيث لم يعد هناك ما يهدد أمن بلاده، وأصبح لديه ولدى شعبه من الوعي الديني ما يضمن عدم انحراف عقيدتهم، فيطلب من العلماء التصنيف في أخبار الفاطميين وأنسابهم، فنرى معاوية بن هشام المرواني – المعروف بابن الشباني – يؤلف له كتابا في نسب العلويين اسمه "التاج السني في نسب آل علي" وهو كتاب يحتوي على أخبار الشيعة في المغرب والأندلس.

أما فيما يخص شئون الشمال الأفريقي، فقد كلف الحكم "محمد بن يوسف الوراق" بتأليف كتاب ضخم في إفريقية ومسالكها وممالكها وحروبها والقائمين عليها، وألف له أيضا في أخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة ونكور وغيرها تواليف حسانا، ثم أهداها للحكم[٤].

---

(١) الضبي، **بغية الملتمس**، ترجمة رقم ٣٣١.

(٢) **مجلة البحوث الإسلامية**، (١٧/ ٣٤٧).

(٣) نقلا عن ليفي بروفنسال، **الحضارة العربية في أسبانيا**، ترجمة الطاهر مكي، ١٦٣.

(٤) ابن الأبار، **تكملة ترجمة رقم ١٠٥٠**، والمقري، **نفح الطيب، ١٦٣/٣، مجلة البحوث الإسلامية، (١٧/ ٣٤٧)**.

(ي) المنهج العلمي في التأليف:

عرفنا فيما سبق أن الخليفة الحكم المستنصر كان قارئا واعيا وذا بصيرة مستنيرة لما يقرأه، وتشير الرواية الإسلامية أنه قلما خلا كتاب من كتب مكتبته إلا وعليه تعليق بخط يده كانت هذه التعليقات موضع تقدير واستفادة من العلماء الذين عاصروه، وأتوا بعده، فاعترفوا له بالعلم وسعة الاطلاع[1].

---

(١) **قضاة قرطبة** نشره عزت العطار الحسيني سنة ١٩٥٣، ١١، **مجلة البحوث الإسلامية** (١٧/ ٣٤٨).

ثالثاً : مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت[1] :

قليل من الناس من يعرف من أمر هذه الخزانة الغنية الموجودة في المدينة المنورة شيئاً لعدم وجود فهرس مطبوع لها حتى أنك، كما لا تجدها في ترجمة حياة صاحبها في كتاب قاموس الأعلام المؤلفة شمس الدين بك سامي الألباني كأنها ليست من الأعمال التي تجدر بالذكر، أو أن يكون المترجم عرض بها فرفعوا قلم المراقبة في عهد السلطان السابق، وقد كنا في عداد جاهليها إلى أن كتبت مجلة المقتبس بعض أسماء المخطوطات فيها، وفي مكاتب المدينة المنورة نقلاً عن الشيخ جمال الدين القاسمي في الصفحة ٧١٨من السنة الرابعة، ثم عادت فنشرت قائمة أخرى بتوقيع إبراهيم أفندي حمدي خربطلي في الصفحة ٣٧٩ من السنة الرابعة.

و مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت أحسن خزائن كتب المدينة المنورة، وربما كانت خير مكتبة في البلاد العثمانية كلها بنظامها وانتقاء أمهاتها، هي مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت أفندي، ففيها نحو عشرة ألاف مجلد، كتبت بخطوط المشهورين من الخطاطين، كأن تجد الكتاب ذا العشرين جلداً مكتوباً بخط مشرق بديع في مجلد أو مجلدين، وفي هذه المكتبة من التسهيل على المطالعين والعناية براحتهم مالا تكاد تجد مثله في دار الكتب الخديوية بمصر، لعهدنا وما ذلك إلا لكثرة ريعها وإنفاقها في سبله، واختيار القيمين عليها، وإدرار المشاهرات الكافية عليهم.

وتتألف هذه المكتبة من زقاق ضيق عن يسار باب السلام، وما كدنا نجتاز منعطفا هناك حتى كنا أمام دار المكتبة، وهي ذات طابقين، ومبنية من الجرار الحجر الأسود، خلافاً لأكثر دور المدينة، المبنية من اللبن، فدخلناها من باب، امتلأت حوله أصاحي الرياحين والأزهار، واجتزناه إلى الغرفة الكبرى المتخصصة بحفظ الكتب، فألفينا بعض المطالعين والنساخ يطالعون وينسخون كأن على رؤوسهم الطير، إلا حركة خفيفة تتبعث مرة بعد أخرى من أهواء المهواة التي بأيديهم دفعاً لشدة حمارة القيظ.

---

(١) الصادق الكيلاني، **تذكرة الشعراء المسماة بجمع الخواص**، ١٠٥.

الفصل الرابع : أقسام المكتبات في الإسلام :

ويشتمل على الأقسام التالية :

القسم الأول : قسم الدخول.

القسم الثاني : قسم المطالعة والبحث.

القسم الثالث : قسم النسخ والتجليد.

القسم الرابع : مستودع الكتب.

القسم الخامس : قسم الفلك.

القسم السادس : القسم الإداري.

القسم الثامن : القسم الخدمي.

القسم التاسع : قسم الفهرسة.

القسم العاشر : قسم البحث العلمي والإعارة.

الفصل الرابع : أقسام المكتبات في الإسلام :

لم يكن للمكتبات أول الأمر أبنية خاصة بها، وإن كان يغلب على الظن أن المكتبة كانت جزءاً كبيراً غير مستقل عن المؤسسة نفسها، إذ يفهم من النصوص الموجودة أن هذه المؤسسات كانت في دور خاصة مستقلة بها، أما مكتبات المساجد والجوامع والمشافي والمدارس فهذه كانت غالباً ملحقة بالمؤسسة التي وجدت من أجل خدمتها.

القسم الأول : قسم الدخول :

وكان يعلق ستارة سميكة غليظة في فصل الشتاء على المدخل الرئيس للمكتبة لمنع دخول الهواء البارد.

القسم الثاني : قسم المطالعة والبحث :

وكان هناك غرف خاصة للمطالعة وغرف أخرى من أجل المناظرة والبحث والاجتماعات والمحاضرات[1].

القسم الثالث : قسم النسخ والتجليد :

لقد كان النسخ من أهم مصادر الحصول على الكتب، والواقع أن أغلب المكتبات كان عندها نساخ يتناوبون العمل فيها. فقد كان في مكتبة بني عمار في طرابلس مائة وثمانون نساخاً يتناوبون العمل فيها ليل نهار، وكذلك الحال مع أغلب المؤسسات.

ألحق بأغلب المكتبات غرفة أو غرف أعدت لجلوس النساخ وممارستهم عملهم، فيجلس فيها النساخ على مراتب مهيئة لهم وبشكل معين وينسخون الكتب التي يطلب منهم نسخها، وقد زودت تلك الغرف بمستلزمات النسخ من أثاث وتجهيزات ومحابر وأقلام وورق...، وكان هناك موظف أو أكثر مهمته جلب الكتب إلى النساخ وخدمتهم كما كان الحال في مكتبة سابور العامة في بغداد حيث كان توفيق الجارية السوداء تخرج الكتب إلى النساخ[2].

---

(١) بنيتو، أولغا، **المصدر السابق**، ٢٢٧.

(٢) أبو العلاء المعري، **رسالة الغفران**، ٢٧٩.

ولم يكن باستطاعة أي انسان أن يحترف النسخ، إذ أن الشرط الأول والأساس لهذه المهنة جودة الخط، ووضوحه وصحته، كذلك كان هناك من يضبط ويراقب عمل النساخ، فالتصحيح والمقابلة من أهم المميزات التي تميز مخطوطاً عن مخطوط. وكانت هناك طرقتان للنسخ: الأولى أن ينسخ الناسخ من المخطوط مباشرة بنفسه بدون مساعدة أحد، وبعد فراغه من نسخ الكتاب يراجعه غيره للتأكد من صحة ما نسخ وأنه لم يهمل ولم يقفز من على السطور، وأما الطريقة الثانية فهي أن يجلس عدد من النساخ في أماكنهم وأن يملي عليهم شخص آخر من مخطوط أريد الحصول على عدة نسخ منه، وبعد الفراغ من عملية النسخ تجري المقابلة.

واشتغل ابن هيثم العالم الفيزيائي الشهير بالنسخ فترة مهمة من حياتهم وذلك أثناء إقامته في القاهرة بعد ذهابه غلى مصر.

وقد كانت الوراقة (أي النسخ) مهنة الصلحاء والفضلاء الذين يريدون أن يكسبوا رزقهم حلالاً وبكد يمينهم، ومما له علاقة بالنسخ والوراقة التجليد والزخرفة واعتبار الخط عنصراً إبداعياً جمالياً من عناصر الفن، والفن الزخرفي خاصة، وقد اهتم المسلمون بالخط العربي كل الاهتمام وطوروه إلى أن بلغ أقصى درجات الكمال والإبداع.

كما كانت المكتبات الكبرى تحوي قسماً للتجليد، فكانت ترسل الكتب إلى ذلك القسم لتجليدها بعد الفراغ من نسخها، واشتهرت العراق بتجليدها المتقن الجميل، وكذلك اشتهرت مالقة في الأندلس بأنها مركز صناعة الجلود الممتازة ومركز التجليد الفاخر، هذا وإن اتساع نطاق العالم الإسلامي وتعدد أجناسه ونماذجه الحضارية أدت، ومع عوامل أخرى إلى نشوء ما يمكن أن يسمى بمدارس التجليد، يقول المقدسي: "إن أهل اليمن يعجبهم التجليد الحسن ويبذلون فيه الأجرة الوافرة"[1].

القسم الرابع : مستودع الكتب :

وقد زودت الغرف المعدة لخزن الكتب بالأرفف اللازمة لذلك. وكان أغلب الرفوف مفتوحاً بدون أبواب والوصول إليها حر، ولكن حدث أن بعض المكتبات وضعت أبواباً لرفوفها مع

(١) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ١٠٠.

مفصلات وأقفال لحماية كنوزها الثمينة من أن تعبث بها أيدي العابثين أو تمتد إليها أصابع الطامعين كما كان الحال في مكتبة العزيز بالله القاضي التي كانت موجودة في أحد مجالس البيمارستان العتيق[١]. وقد درجت أغلب المكتبات على عادة تزويد روادها بالحبر والأقلام والأوراق والمحابر وكل شيء يساعد على النسخ[٢]، حتى لقد غالى بعضهم في ذلك فقد وجد في احدى مكتبات نيسابور خمسمائة دواة معدة لمن يريد أن يكتب[٣].

القسم الخامس : قسم الفلك :

وقد اضافت بعض المكتبات الكبرى إلى مجموعاتها من الكتب مواد أخرى ليست كتباً كالأدوات الفلكية ونحوها، فقد روى أنه كان من بين مقتنيات مكتبة العزيز بالله الفاطمي كرتان أرضيتان نحاسيتان الأولى قديمة جداً والثانية عملها لعضد الدولة الفلكي وأبو الحسن الصوفي[٤].

القسم السادس : القسم الإداري :

وقد كانت المكتبات الكبرى توضع تحت إدارة ثلاثة أشخاص : المشرف الأعلى ويسمى الوكيل، وأمين المكتبة ويسمى الخازن ومساعد يسمى المشرف، وطبعاً تتغير هذه الأسماء مع الزمن وبالنسبة لمختلف المؤسسات وطبيعتها ووظيفتها وحجمها، ولكن حوفظ على هذا النظام الثلاثي وإن كان هناك تغيير في أسماء المناصب، فالمدرسة المستنصرية تولى الإشراف على شؤون مكتبتها ثلاثة موظفين سمي الأول خازناً والثاني مشرفاً والثالث مناولاً[٥]، والتسلسل في السلطة أن الوكيل في رأس الهرم يتلوه المشرف فالخازن.

ومن أهم الأقسام الإدارية قسم المحاسبة يبدو من الملاحظات الوارد هنا وهناك أن المال الذي كان ينفق على هذه المعاهد غير قليل بحال من الأحوال، كذلك أوقف مؤسسو هذه

---

(١) المقريزي، **المصدر السابق**، ج٢/٢٥٤.
(٢) المقريزي، **المصدر نفسه**، ٣٣٧/٢.
(٣) أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، ٢٢٣/٢.
(٤) خدابخش، صلاح الدين، **مجلة القرن التاسع عشر**، ١٣٣.
(٥) معروف ناجي، **تاريخ علماء المستنصرية**، ٢٧٤.

المكتبات الأوقاف السخية ليضمنوا استمرارها وحسن أدائها لمهمتها التي أوجدت من أجلها بعد وفاة مؤسسها. معبراً في ذلك عن احترام حقيقي لكرامة الأدب والأدباء[1].

كذلك كان أبناء شاكر ينفقون في الشهر على النقل والملازمة مقدار خمسمائة دينار، وان الوزير ابن الزيات كان ينفق في الشهر ألف دينار لنفس الغرض.

ويُلاحظ عناية مختلف الخلفاء والأغنياء بضمان استمرار ما غرسوه وما قدموه للأمة، كذلك نلاحظ أن موازنة هاتين الخزانتين ليستا مرتفعتين كثيراً وإنما هما موازنتان عاديتان متواضعتان ليس فيهما ذلك الترف والإسراف الذي سمعنا به وشاهدناه لدى المأمون ومن أتى بعده من الخلفاء والولاة والحكام والوزراء العظام.

وقد ازدهرت تجارة الكتب في العالم الإسلامي ازدهاراً واسعاً واشتغل بها علماء وأدباء أجلاء مثل ياقوت الحموي الذي كان تاجراً للكتب يشتريها ويبيعها وينتقل بها في البلاد. يقول عنه ابن خلكان... وجعل بعض تجارته كتباً[2].

ولقد ظهرت تجارة الكتب في العالم الإسلامي في وقت مبكر جداً أي منذ اختراع الورق وانتشار استعماله وظهور أسواق الوراقين. وقد كانت الكتب تباع في الدكاكين وفي الأسواق الموسمية كأية سلعة عامة اخرى، وكان هناك دلالون للكتب يبيعون الكتب بالمزاد العلني.

يعتبر وقف الكتب وحبسها على المكتبات مصدراً مهماً رئيسياً من مصادر تزويد المكتبات بالكتب، فقد درج الخلفاء والحكام والعلماء والأغنياء وأهل الخير على أن يوقفوا أشياء كثيرة على المساجد والمدارس والمعاهد والمشافي.. ابتغاء ثواب الله تعالى والأجر في الآخرة، وقد أوقف قسم كبير منهم الأوقاف العظيمة الجليلة على التعليم والتدريس، وكان للمكتبات نصيب موفور من حسنات المحسنين وأوقاف الواقفين.. فهذا ابن حبان عمر داراً للعلم في بلده وألحق بها مكتبة وجعلها وقفاً.

ويكون الوقف على أنواع : فمن الناس من يوقف كتبه على المسلمين عامة دون تعيين فتوضع كتبه في خزانة الجامع، ومنهم من يخصص فيقول أوقفتها على المكان الفلاني أو البلدة

---

(١) أمير علي، سيد، **مختصر تاريخ المسلمين**، ٢٧٤.

(٢) ابن خلكان، **وفيات الأعين**، ١٧٨/٥.

الفلانية أو ...الخ ومنهم من يترك استعمالها حراً، على حين يضع اخرون شروطاً لاستعمالها وإعارتها كما فعل القاضي ابن حبان الذي منع إعارة الكتب خارج المبنى وكما فعل ابن خلدون منع إعارة كتابه العبر إعارة خارجية الا لقاء رهن ولمدة لا تزيد عن الشهرين، وبعضهم وقف كتبه على اهل العلم كما فعل ابن الخشاب[1].غير أن العادة جرت أيقف المرء كتبه على المدرسة التي تخرج منها أو درس أو علم فيها أو على مسجد حيه أو بلدته أو ما شابه وعندنا نماذج كثيرة لهذا النوع من الوقف. فقد أوقف محب الدين بن النجار في أواخر القرن السابع كتبه على خزانة كتب المدرسة النظامية ببغداد[2]، كذلك وقف جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع نسخة من كتابه الكبير المسمى بالكافي على دار العلم ببغداد[3].

القسم الثامن : القسم الخدمي :

إن المسلمين أوجدوا دواء للعث والارضة التي تأكل أوراق الكتب وكان بإمكانهم استعماله لمنع تفتت أوراق الكتب وقتل العث والارضة، وطبعاً كان هناك فراشون وبوابون وخدم في جميع المكتبات من أجل خدمة المكتبة وصيانتها وتنظيفها ومن أجل خدمة القراء، إلى جانب عدد من النساخ والمجلدين والخطاطين يختلف عددهم بحسب حجم المكتبة وبحسب إمكاناتها المادية ومتطلباتها. وقد تولى إدارة المكتبات الإسلامية ألمع الشخصيات وأذكاهم.

القسم التاسع : قسم الفهرسة :

وقد اهتم المسلمون أيضاً بفهرسة مكتباتهم وتصنيفها وتنظيمها بحيث يسهل تناولها ويسهل استعمال كتبها على الباحثين والدارسين، وبالواقع نجد أن أوائل مؤسسي المكتبات انتبهوا لأهمية الفهارس ووظيفتها، فقد حدث الحسين بن سهل قال: "قال له المأمون يوماً أي الكتب العجم أشرف؟ فذكرت كثيراً ثم قلت خاويدان خرد (يتيمة السلطان) يا أمير المؤمنين، فدعا المأمون

---

(١) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٥١/٢.

(٢) الكتبي، **فوات الوفيات**، ٥٢٣/٢.

(٣) ابن ابي أصيبعة، **طبقات الأطباء**، ٧٥/٢.

بفهرست كتبه وجعل يقلبه فلم ير لهذا الكتاب ذكراً فقال كيف سقط ذكر هذا الكتاب من الفهرست؟"[١].

ولقد كانت الفهارس على نوعين: إما أن تكون مكتوبة في مجلدات تستعمل كالكتب فيرجع إليها المطالع من أجل معرفة محتويات المكتبة، وإما أن تكون أسماء الكتب والمؤلفين مكتوبة على لائحة معلقة على مدخل كل قسم من الأقسام. ونجد كلا النوعين شائع الاستعمال، فقد ذكر أن فهارس مكتبة الري التي وقفها الصاحب ابن عباد على مدينته بلغت عشرة مجلداً[٢].

كذلك بلغت عدة فهارس الدواوين الشعرية في مكتبة الحكم الثاني خليفة قرطبة أربعة وأربعين فهرساً في كل فهرس عشرون ورقة، فكيف بفهارس سائر الموضوعات؟ ذلك أن مكتبة الحكم كانت مرتبة حسب المواضيع أي أن كل موضوع له فهارسه الخاصة به وهذا يشبه ما يسمى الآن بالفهرسة الموضوعية أو الفهرسة حسب الموضوعات. ولم تخل المكتبات الصغرى، بل وحتى مكتبات المساجد من فهارس لها، فقد ذكر ياقوت أثناء حديثه عن البيروني العالم الشهير أنه شاهد فهرست كتبه في وقف الجامع بمرو، وإليك نص ما ذكرة ياقوت: "وأما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فإنها تفوق الحصر رأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتنز"[٣].

وعندما أسس الخلفة بالله العباسي مدرسته المستنصرية وجعل المكتبة قسماً أساسياً من أقسامها تقدم إلى الشيخ عبد العزيز شيخ رباط الحريم بالحضور للمدرسة واثبات الكتب (فهرستها) واعتبارها، وإلى ولده العدل ضياء الدين احمد الخازن بخزانة كتب الخليفة التي في داره أيضاً فحضر واعتبرها ورتبها أحسن ترتيب[٤]. وقد قيل في تعليل ذلك: " ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها"[٥].

---

(١) كرد علي، محمد، **رسائل البلغاء**، ٤٧٩-٤٨٠.

(٢) ديورانت، ول، **قصة الحضارة**، ١٣/١٧٠.

(٣) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ١٧/١٨٥.

(٤) ابن الفوطي، **المصدر السابق**، ٥٣.

(٥) ابن الفوطي، **المصدر نفسه**، ٥٣.

أما النوع الآخر من الفهارس فهو الفهرست الذي يحوي أسماء قسم من الأقسام، واللائحة ملصقة على مدخل ذلك القسم كما كان الحال عليه في مكتبة القصر.

والشيء نفسه يقال عن خزانة عضد الدولة في شيراز اذ كان لكل نوع من أنواع الكتب بيوت وفهرسات فيها أسامي الكتب[١]. وأما التصنيف فقد كان ولا يزال مفتاح البحث والدرس، وكانت أغلب المكتبات الإسلامية مصنفة حسب المواضيع، فهذا ابن سينا يدخل مكتبة بخارى التي أسسها السلطان نوح بن منصور الساماني فيجدها مصنفة حسب المواضيع وقد خصص لكل علم بيت خاص به، فقد وجد في بيت كتب العربية والشعر، وفي آخر الفقه وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد وطالع فهرست كتب الأوائل وطلب ما احتاج إليه[٢].

على أن ترتيب الكتب على الرفوف في تلك المكتبات اختلف عن ترتيبنا الحالي لها، وذلك أننا نضع اليوم الكتب على الرفوف قائمة متلاصقة وقد كتب اسم المؤلف وعنوان الكتاب على ضلع الكتاب، ولكنهم كانوا آنذاك يضعونها على الأرفف مستلقية الواحد فوق الآخر بحيث تكون المجلدات ذات الحجم الكبير والضلع الكبير في الأسفل، والصغرى وذوات الضلع الصغير في الأعلى حتى لا تتساقط، أما عنوان الكتاب واسم مؤلفه فلم يكونا يكتبان على ضلع الكتاب كما هو متبع الآن، وإنما كتبا على أطراف صفحات الكتاب ومن الجهة الخارجية للرف وفي مواجهة الشخص الذي يبحث عن كتاب معين، ويبدو لنا ذلك واضحاً من مخطوط مصور لمقامات الحريري حيث صورت فيه ذكرنا، وأما الكتب الثمينة أو الدروج فقد خصصت لها صناديق في حجم كل كتاب وكتب اسم المؤلف وعنوان الكتاب على جانب الصندوق.

القسم العاشر : قسم البحث العلمي والإعارة :

ومما سهل عمل الباحث المسلم أن الكتب كانت مبذولة للجميع والمطالعة الحرة والأوراق والأقلام والحبر بالمجان لمن أراد استنساخ شيء من مقتنيات المكتبة، وقد أدى تسهيل الإعارة وسهولة الوصول والحصول على الكتب ان استغنى بعض العلماء عن شراء الكتب، فلم يجدوا من الضروري أن يشتروا كتباً البتة وأن ينفقوا أموالهم في أثمانها ولا سيما إذا كانت ذات يدهم

(١) المقدسي، **المصدر السابق**، ٤٤٩.

(٢) القفطي، **أخبار الحكماء**، ٤١٦.

ضيقة ويمنعهم ذلك من شراء الكتب، فهذا أبو حيان الغرناطي لم يشتر كتاباً واحداً استغناء بكتب الأوقاف " إذا أردت كتاباً استعرته من كتب الأوقاف وقضيت حاجتي"[١].

وأما الإعارة الخارجية فقد اختلفت شروطها باختلاف الظروف واختلاف شروط الواقف وغيرها من العوامل التي تؤثر في مثل هذه الحالات، والمبدأ الأساسي هو السماح بإعارة الكتب إعارة خارجية، أحياناً بدون مقابل، وأحياناً مقابل رهن، فهذا هو ياقوت الحموي الذي أنفق من عمره ثلاثة أعوام في مدينة مرو يذكر أنه سر كل السرور في الإقامة بتلك البلدة لما في اهل تلك البلدة من الرفد ولين الجانب وحسن العشرة وكثرة كتب الأصول المتقنة فيها. وقد كانت الإعارة الخارجية مباحة في مكتباتها وبأعداد غفيرة[٢]. فإن القاعدة هي السماح بإعارة الكتب للأشخاص الموثوقين والبحاثة، وقد كانت المكتبات الإسلامية تحرص على أن تمتلك أكبر كمية ممكنة من الكتب المخطوطة بخطوط مؤلفيها. وقد كانت المكتبات الإسلامية تحصل على كتبها بطرق متعددة أهمها: المصادرة والشراء والوقف والنسخ والهبات والهدايا.

كذلك ظهر نوع جديد من التأليف، وذلك مع تبحر العمران وتقدم الحضارة وغزارة المؤلفات في كل نوع من أنواع المعرفة، وهو الذي يسمى بالاصطلاح الحديث البيبليوغرافيا، نزل محمد بن أبي السعادات المسعودي إلى جامع حلب وقعد في خزانة كتبها الموقوفة واختار منها جملة أخذها ولم يمنعه منها مانع ولقد رأيته يحشوها في عدل... وتوفي المسعودي في دمشق سنة ٥٨٤هـ ووقف كتبه على الخانقاه المذكور (السميساطية)[٣].

---

(١) شلبي، أحمد، **المصدر السابق**، ١٣٦.

(٢) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ١٠/٣٥-٣٦.

(٣) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ٤/٢٣-٢٤.

الفصل الخامس : أسس وضوابط ومعايير واعتبارات عمارة المكتبات في الإسلام :

ويشتمل على :

أولاً : اختيار موقع المكتبة.

ثانياً : توجيه المكتبة.

ثالثاً : اختيار مواد بناء المكتبة.

رابعاً : تصميم شكل وهيئة المكتبة.

خامساً : حجم ومساحة المجمعات والمباني الطبية.

سادساً : أسس ومعايير تصميم المكتبة.

الفصل الخامس : أسس وضوابط ومعايير واعتبارات عمارة المكتبات في الإسلام :

ويشتمل على :

أولاً : اختيار موقع المكتبة :

لا شك في أن اختيار موقع أي مبنى له أهمية كبيرة، فقد خلق الله الكون ووضع كل شيء بمكانه، وفي القرآن الكريم إشارات إلى ذلك؛ منها اختيار الله سبحانه وتعالى لموقع للكهف، قال تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[1]

إذا لا بد لموقع المكتبة أن يحقق مجموعة من الشروط البيئية والصحية و...، تجعله يتمتع بإضاءة طبيعية وتهوية وتشميس و...، والتي تستلزمها طبيعة الحياة ومبادئ الشريعة الإسلامية ومعاني الكرامة الإنسانية، وقد أكد الفقهاء هذه المعاني....

ومن هذه الشروط :

١- الملائمة من حيث المناخ :

كان اختيار مواقع هذه المكتبة يتم بعد البحث والتقصي لتشييدها في أكثر الأماكن ملائمة من حيث المناخ.

٢- تحقيق التهوية والتشميس، والإضاءة ولإنارة الطبيعية، والتدفئة والتكييف الطبيعي :

لقد كان هناك اهتماماً كبيراً بدرجة الحرارة والرياح والرطوبة، لإضاءة وإنارة وتهوية المكتبة بشكل طبيعي.

٣- التوسط بين المباني :

يجب أن يكون موقع المكتبة متوسطاً بين المباني، وذلك لسهولة الوصول.

٤- اتساع المكان :

---

(١) الكهف، ١٧.

لإفساح المجال لإقامة حرم أمام المكتبة يوفر لها أكبر قدر ممكن من الخصوصية، ويسمح بعمل تمهيدا للمكتبة ولمدخلها على حد سواء، ولمراعاة إمكانية التوسع المستقبلي.

٥- أن يكون الموقع قريبا من الخدمات العامة الاساسية :

مثل خطوط الكهرباء والهاتف والصرف الصحي .

٦- اختيار شكل الارض :

يفضل أن يكون شكلها مستطيل بحيث يكون بعداه بنسبة ١:٢او ٢:٣ بحيث يكون الضلع الاكبر في اتجاه شرق _غرب او شمال شرق_ جنوب غرب .

٧- مراعاة ميول الأرض :

إذا وجد ميل في أرض المشروع فالأفضل أن يتماشى المشروع معها وذلك يسمح بوجود اكثر من مدخل واكثر من مستوى .

٨- مساحة الأرض :

هناك علاقة بين مساحة الأرض وعدد المقاعد في المكتبة.

٩- أن يكون بعيداً عن التلوث بكافة أشكاله :

وذلك لتحقيق الهدوء النسبي، والصحة المناسب والجو للعلاج، أن تكون الأرض بعيدة عن مناطق التلوث بكافة أشكاله، وإيجاد الحلول للتلوث عند وجوده ، وذلك على الشكل التالي :

أ- **تلوث الماء والتربة :** إن من بين المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية حفظ النفس الإنسانية من جميع جوانبها، ولما كان الجانب الصحي من أعظمها أصر الفقهاء على مراعاته في تقنينهم لكثير من أمور المدينة و من ذلك : تدبير مجاري المياه، فقد ثبت عند الخبراء أن المياه المستعملة حمالة للأضرار الصحية الكثيرة إذ هي مورد القاذورات و مجمع النجاسات لذلك نظم الفقه المالكي مجاري المياه في المدينة عبر تدابير إجرائية حيث منع إجراء مياه الدور في الطرق والشوارع، ويدل على ذلك أن الإمام سحنون عندما سئل هل يجوز للرجل فتح كوة (طاق)[١]، في سكك المسلمين لإخراج مائه في السكة فأجاب : لا[٢] . ومنع الفقه المالكي أيضا تصريف المياه على صورة يلحق ضررا بالجيران وبجدرانهم حيث اعتبروا ذلك من الضرر المتفق عليه[٣]، وهذا

---

(١) محمد بن محمد، المعروف بالحطاب الرُّعيني، **مواهب الجليل**، ٥/١٦٠ .

(٢) عيسى بن موسى التطيلي، **القضاء بالمرفق في المباني ونفي الضرر**، ٩٨.

(٣) محمد بن أحمد، ابن جزي الغرناطي، **القوانين الفقهية**، ٢٢٤/١.

كله يدل على أنهم التزموا طريقة أخرى لتصريف المياه المستعملة، ولربما هي طريقة المجاري التحتية من أنابيب وقنوات تفاديا لظهور الأوساخ وما ينجم عنها من الروائح[١].

ب- **التلوث الشمّي** : حاول الفقهاء إبعاد المنشآت الصناعية خارج المدينة[٢]، حيث منعوا في فتاويهم وأقضيتهم إقامة الحمامات والأفران والطواحين والمدابغ وغيرها وسط الدور السكنية[٣]، وحددوا الضرر المتوقع من الصناعات في جملة أمور منها : الدخان والغازات[٤]، والرائحة الكريهة، كما أكد الفقهاء على وجوب إتقان تغطية حفرة المرحاض (الكنف) في الطريق[٥]، لأن الرائحة المنتنة تخرق الخياشيم وتصل إلى المعي وتؤذي الإنسان، ولذلك يُجعل أنبوباً في أعلى الفرن يرتقي الدخان فيها ولا يضر بمن جاورها، وهو معنى حديث ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال في غزوة خيبر : "من أكل من هذه الشجرة يعني الثوم فلا يقربن مسجدنا "[٦]، فكل رائحة تؤذي تمنع منها بهذا الحديث[٧]

ج- **التلوث السمعي** : منع الفقهاء في فتواهم إذا أفتوا، وفي قضائهم إذا قضوا : كل ما يضر بالإنسان من الضجيج المؤذي، فما كان خاصاً بالإنسان في نفسه، فهو محرّم ديانةً، وما كان متعدّياً إلى غيره فهو محرّم ديانةً أيضاً، ويزيد أنّه من حق القضاء أن يمنعه إذا رُفع إليه، ومن حق المحتسب أن يمنعه إذا رآه ولم يرفعه إليه أحد[٨]، ومثال القسم الأول : الأصوات والذبذبات الناتجة عن حركة البوابات، إذا أنها تؤثر على سلامة المباني المجاورة لها، أما القسم الثاني : من الضرر فينتج عن الاصوات التي تسبب الضيق دون الضرر. وقد اختلف الفقهاء في حكمهم عليه فلم يعتبر الفقهاء الأوائل ضرراً يجب درؤه . أما من لحقهم من الفقهاء، فقد كان لهم رأي مغاير . من ذلك نرى أنه، بوجه عام، اعتبر فقهاء الأصوات والذبذبات مصدرا للضرر يجب

---

(١) عيسى بن موسى التطيلي، **القضاء بالمرفق في المباني ونفي الضرر**، ٩٨.

(٢) د.م. يحيى وزيري، **التصميم المعماري الصديق للبيئة نحو عمارة خضراء**، ٤٨.

(٣) عيسى بن موسى التطيلي، **القضاء بالمرفق في المباني ونفي الضرر**، ١٢٠.

(٤) محمد بن أحمد ابن جزي الغرناطي، **القوانين الفقهية**، ٢٢٤/١.

(٥) عيسى بن موسى التطيلي، **القضاء بالمرفق في المباني ونفي الضرر**، ١٢١.

(٦) أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، أبواب صفة الصلاة، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث، رقم : ٨١٥ ، ٩٥/٢ .

(٧) أبو عبد الله المواق، محمد بن يوسف العبدري، **التاج والإكليل لمختصر خليل**، ٢٤٢/٢ .

(٨) أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم اللخمي، المعروف بابن الرامي، **الإعلان بأحكام البُنيان**، ٣١٤و٣١٥.

منعه[1]، كما ورد في الفقه منع إقامة الصناعات المحدثة للأصوات المزعجة وسط الدور السكنية، كمن يجعل في داره رحى يضر دويها بجاره[2]، وبناء على هذه الأضرار المتوقعة من الصناعات أوجبوا إبعادها عن السكان، و قرروا تخصيص مجالا لها مع مراعاة أنواعها، كدرب الدباغين، ودرب العطارين، والحدادين و[3]...وقال المحتسب الشيزري : ويجعل لأهل كل صنعة منهم سوقا يختص بهم، وتعرض صناعتهم فيه، فإن ذلك لقصادهم أرفق، ولصنائعهم أنفق[4] ...، ومن كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار، كالخباز والطباخ والحداد، فالمستحب أن يبعد حوانيتهم عن العطارين والبزازين، لعدم المجانسة وحصول الأضرار[5] .

خ- **التلوث البصري** : من المعلوم عند الأطباء أن الضوء والشمس ضروريان للسكن الصحي، وقد تنبه السادة الفقهاء لذلك قديما وأجازوا إحداث الكوات والنوافذ في المباني لدخول الضوء والشمس بشرط عدم الإضرار بالجيران[6]، والواضح أن تلك الفتاوى إنما هي للحفاظ على حرمات المباني، وقد كان الفقه صارما جدا بمنع أي إخلال بهذا المبدأ كفتح الكوة يكشف منها الجار، وكتب عمر ﷺ أن يُوقف على سرير فإن نظر إلى ما في دار جاره منع نفيا للضرر وإلا فلا لأنه تصرف في ملكه[7]، ومن عوامل تحقيق الخصوصية ما تضمنته الأحكام الفقهية مما يوجه المطالع المؤدية إلى إلى السطح وأبوابه وسترته، بحيث لا يكشف الصاعد إلى السطح أو من يكون فوقه البيوت المجاورة أو أن تكشف البيوت المجاورة هذا السطح[8]، وفي أجوبة ابن رشد أن عياضاً سأله عن صومعة (منارة) أحدثت في مسجد فشكا منها بعض الجيران الكشف عليه فهل له فيها مقال؟

---

(١) المصدر نفسه، ٣٠٤ .

(٢) محمد بن أحمد ابن جزي الغرناطي، **القوانين الفقهية**، ٢٢٤/١.

(٣) أبو جعفر، أحمد بن مغيث الطليطلي (-٤٥٩هـ/١٠٦٥م)، **المقنع في علم الشروط**، تقديم وتحقيق فرانثيكو فرانثيكو خابيير أغيري شادابا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي،١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، مدريد، ٢٣٣.

(٤) أبو النجيب، **عبد الرحمن بن نصر الشيزري**، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، ١١٠ .

(٥) عمر بن محمد السنامي(-١٣٣٤،٧٣٤م)، **نصاب الإحتساب**، تحقيق موئل يوسف عز الدين، دار العلوم، الرياض، د.ط، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، .

(٦) عيسى بن موسى التطيلي، **القضاء بالمرفق في المباني ونفي الضرر**، ١٠٨.

(٧) المصدر نفسه، ١٧٥.

(٨) محمد عبدالستار عثمان، **المدينة الإسلامية**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والفنون والآداب، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ٧ .

فأجاب :" وإن كان يطلع منها على الدور من بعض نواحيها دون بعض، فيمنع من الوصول منها إلى الجهة التي يطلع منها إلا بحاجز يبنى بين تلك الجهة وغيرها من الجهات"[١] .

ولتلافي جميع أنواع التلوث ولتوفير الجو المناسب للعلاج يمكن ترك مساحة كافية من الأرض كساحات خدمة وحدائق مزروعة بالأشجار ذات خضرة دائمة لتقليل الضوضاء ولإعطاء الجو المناسب لمحيط البيمارستان، وقد فعل المسلمون ذلك عندما كانوا يقيمون البيمارستان وسط الحدائق[٢] .

وفي العصر الحديث يجب أن تلاحظ المسافة المناسبة بين مبنى المكتبة والأبنية المجاورة، وفى بعض الأحيان تؤخذ العلاقة التالية لدراسة المسافة المناسبة : L ≥ ٢ H=٢٥، المسافة المطلوبة = L ، ارتفاع المبنى = H

ويجدر التنبيه إلى أن يكون موقع المكتبة واضحا ويتمتع بخصائص تميزه كأطراف الساحات والميادين العامة لتكون نقطة علام أو علامة مميزة.

ويتبين من دراسة تاريخ مواقع المكتبات في الإسلام أن أهم مواقع المكتبات هي :

أولاً : في المساجد.

ثانياً : في المدارس.

ثالثاً : في القصور الخلافية.

رابعاً : في المشافي (البيمارستانات).

خامساً : في منتصف المدينة.

---

(١) محمد بن أحمد عليش (-١٢٩٩هـ/١٨٨١م)، **منح الجليل شرح مختصر خليل**، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ٣٢٩و٣٣٠، ٣٣.

(٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٣١٥/٢١ .

ثانياً : توجيه المكتبة :

لا شك في أن اختيار توجيه المكتبة له أهمية كبيرة، وفي القرآن الكريم إشارات إلى ذلك؛ منها اختيار الله سبحانه وتعالى لموقع للكهف، قال تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[1]، فتوجيه الكهف كان آية من آيات الله، وكان له أهمية كبيرة في الحفاظ على أجساد أصحاب الكهف، وهذا دليل على أن باب هذا الكهف من نحو الشمال؛" لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه (ذات اليمين) أي : يتقلص الفيء يمنة كما قال ابن عباس وسعيد بن جبير، وقتادة : (تزاور) أي : تميل؛ وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان؛ ولهذا قال : (وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) أي : تدخل إلى غارهم من شمال بابه، وهو من ناحية المشرق، فدل على صحة ما قلناه، وهذا بين لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة، وسير الشمس والقمر والكواكب، وبيانه أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب، ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب، ولا تزاور الفيء يمينا ولا شمالا ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع، بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب، فتعين ما ذكرناه ولله الحمد"[2].

وهم في فجوة منه أي من الكهف، والفجوة : المتسع، وجمعها فجوات وفجاء؛ أي كانوا بحيث يصيبهم نسيم الهواء[3]، و ذلك من آيات الله لطف بهم، وهذا يقوي قول الزجاج، وقال أهل التفسير : كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون ؛ فكذلك كان الرائي يحسبهم أيقاظا، وقيل(ذلك من آيات الله) حيث أرشدهم تعالى إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء، والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم[4]، ويُعتبر أفضل توجيه بالنسبة لصالات المكتبة الشمال لتوفير الإضاءة الثابتة بدون حرارة أظل يزعج رواد المكتبة.

---

(1) الكهف، ١٧.

(٢) **ابن كثير**، تفسير القرآن، ٤٣/٥، **دار طيبة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م**، عدد الأجزاء : ٨ .

(٣) محمد بن أحمد الأنصاري **القرطبي**، تفسير القرطبي، دار الفكر، عدد الأجزاء: ٢٠، ٣٣٤/١٠ .

(٤) **ابن كثير**، تفسير القرآن، ٤٣/٥ .

ثالثاً : اختيار مواد البناء :

أرشد الله تعالى الناس في سورة النحل إلى اختيار مادة البناء المناسبة للمكان والزمان، قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ ۙ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾[1]، وتختلف مواد البناء بحسب نوع المكتبة.

رابعا : تصميم شكل وهيئة المكتبة :

لا شك أن هيئة المكتبة ترمز من الناحية الفنية والعملية إلى العلم، فلا بد أن يكون للمكتبة هيئة خاصة به تميزها عن المباني الأخرى، فيجب أن يكون شكلها الهندسي يحمي من حرارة الشمس في الصيف وبرودة الطقس في الشتاء، وتجعل في الجدران أبواب ومنافذ متقنة الهواء، داعية إلى السهولة في الحركة.

ولا بد أن يكون شكل البيمارستان واضحا كنقطة علام أو علامة مميزة، فقد استفاد المسلمون من عمارة الكون في عمارة مدنهم ومبانيها، قال تعالى : ﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝١٦ ﴾[2] ، قوله تعالى : "وعلامات وبالنجم هم يهتدون " ، قال ابن عباس : العلامات معالم الطرق بالنهار ؛ أي جعل للطريق علامات يقع الاهتداء بها، وبالنجم هم يهتدون يعني بالليل[1].

خامسا : حجم ومساحة المكتبة :

تتوقف حجم ومساحة المكتبة على نطاق التخديم ويتوقف على عدة عوامل :

١- ظروف الموقع .

---

(١) النحل، ٨٠ .

(٢) النحل، ١٧.

٢- عدد السكان المطلوب خدمتهم .

٣- نوع الخدمات المطلوبة بها .

وتشتمل المكتبات على نوعين[٢] :

أ- **المكتباتُ الفرعيَّة** : وتقع ضمن نطاق خدمة ٥كم، وبذلك تخدم من ٣٠٠٠٠ إلى ٤٠٠٠٠ نسمة، بمعدَّل ١,٥ إلى ٢ مقعد لكلِّ ألف نسمة، وتُقدَّر مساحة المكتبة بمعدَّل ١٥ إلى ٢٥م٢ لكلِّ مقعِد.

ب- **المكتباتُ المركزيَّة** : وتقع ضمن نطاق خدمةٍ ٨كم، وبذلك يخدم ٥٠٠٠٠ نسمةٍ، بمعدَّل ١,٥ إلى ٢ مقعد لكلِّ ألفٍ نسمةٍ، وتُقدَّر مساحتها بمعدَّل ٢٥ إلى ٤٠م٢ لكلِّ مقعدٍ.

سادساً : أسس ومعايير تصميم المكتبة:

وتشتمل على :

١- المدخل وفراغ الاستقبال والاستعارة الخارجية :

وتصمم ساحة الاستقبال بطريقة تسمح بالحركة المستديرة وتكون منطقة المدخل خالية من المعوقات التي تحول دون انسياب الحركة بشكل مرن وتحتوي من العناصر مايدل على الطريق التي يسلكها كما تحتوي على معلومات مكتوبة واضحة، وتتكون منطقة الاعارة من طاولة للإعارة ويتم ترتيبه بطريقة تسمح بالتحكم والتنظيم لعملية الإعارة والإرجاع وتتراوح هذه المساحة ما بين ٤٠ إلى ٥٠ م ٢.

---

(١) القرطبي، تفسير القرآن، ٨٤/١٠ .

(٢) انظر : وزارة الشؤون البلديَّة والقرويَّة في الرِّياض، **المرجع السَّابق**،١١.

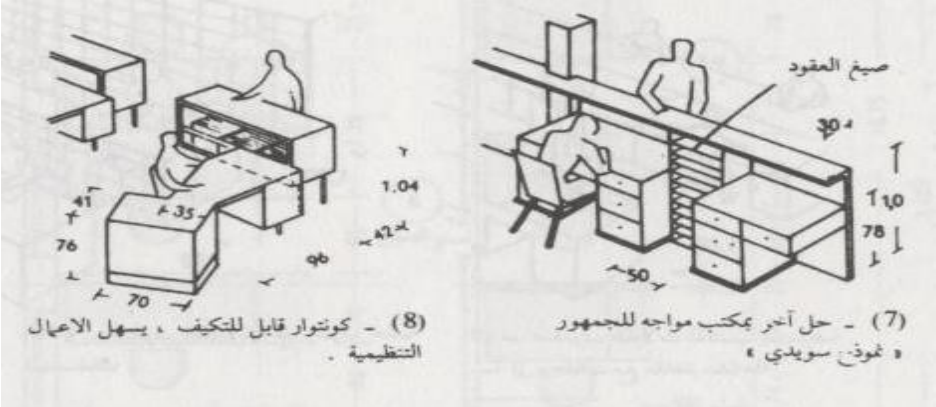

(7) ـ حل آخر يمكتب مواجه للجمهور « تموذج سويدي »

(8) ـ كونتوار قابل للتكيف ، يسهل الاعمال التنظيمية .

٢ – قاعة المطالعة :

وهي المنطقة الحيوية والهامة جدا من حيث الحركة والنشاط، ويحدد مساحتها عدد المترددين عليها ويشترط فيها الآتي: أن تكون في قلب المكتبة، وأن تكون قريبة من منطقة صالات تبويب الكتب وعلى علاقة مباشرة بها، أن تكون مساحة النوافذ خمس المساحة الكلية للقاعة وتكون الإضاءة جيدة ويراعى التوجيه الشمالي للقاعة، تؤخذ مساحة ٣م ٢ من أجل طاولة صغيرة لشخصين بما في ذلك الممرات، وتؤخذ المساحة الضرورية لكل طاولة باعتبار : ٢,٠ ٢,٢م للجلوس من الطرفين ويفضل توجيهها للشمال حتى لا يحدث بريق بسبب الاضاءة الطبيعية.

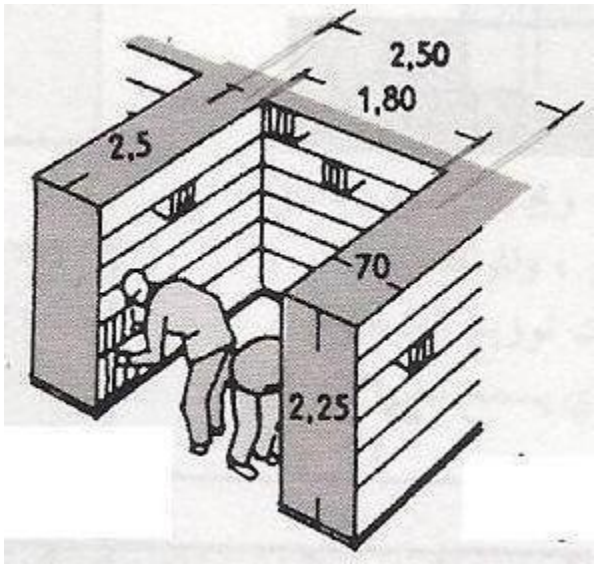

www.alukah.net
شبكة الألوكة

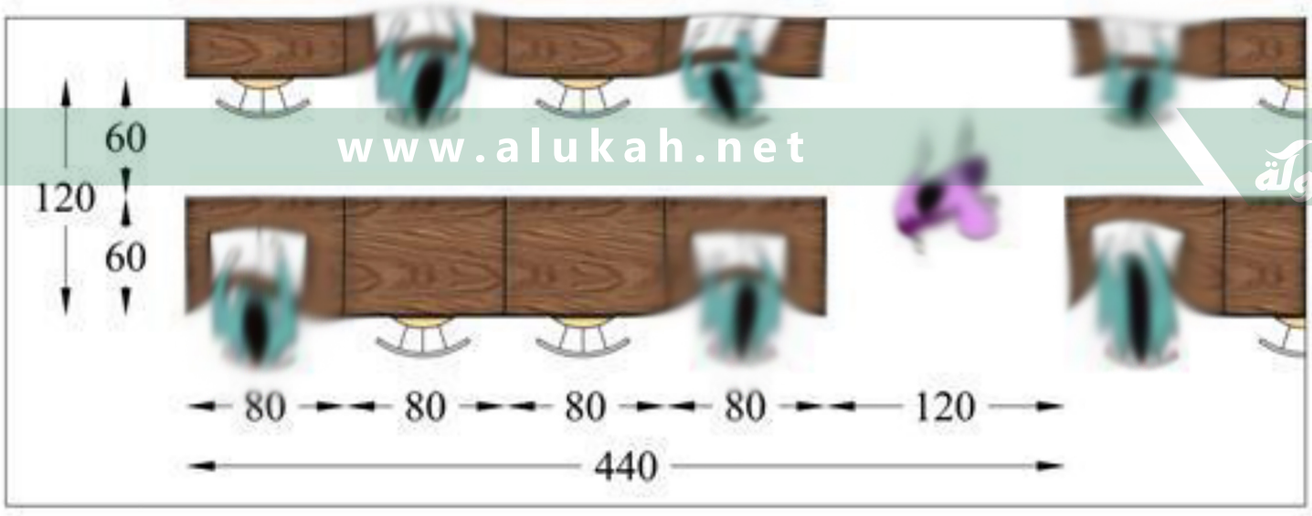

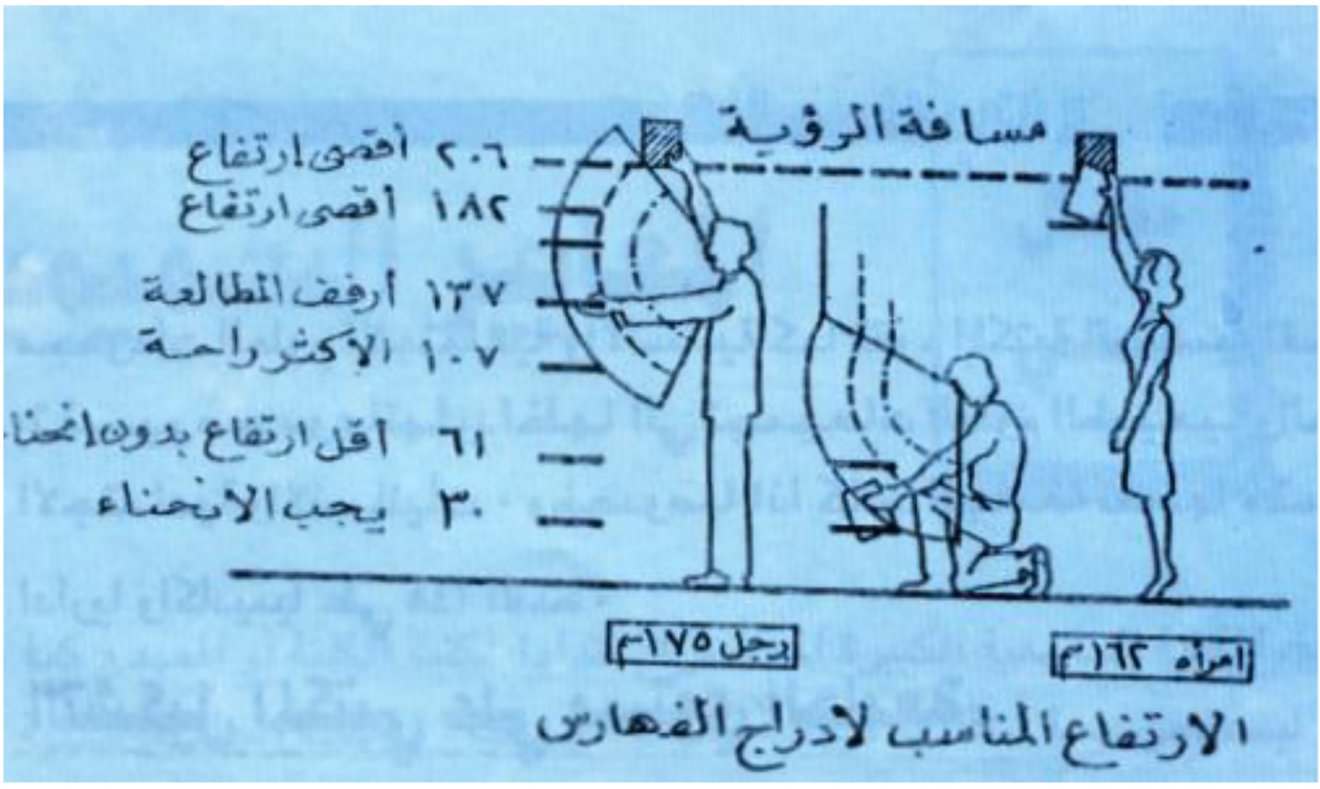

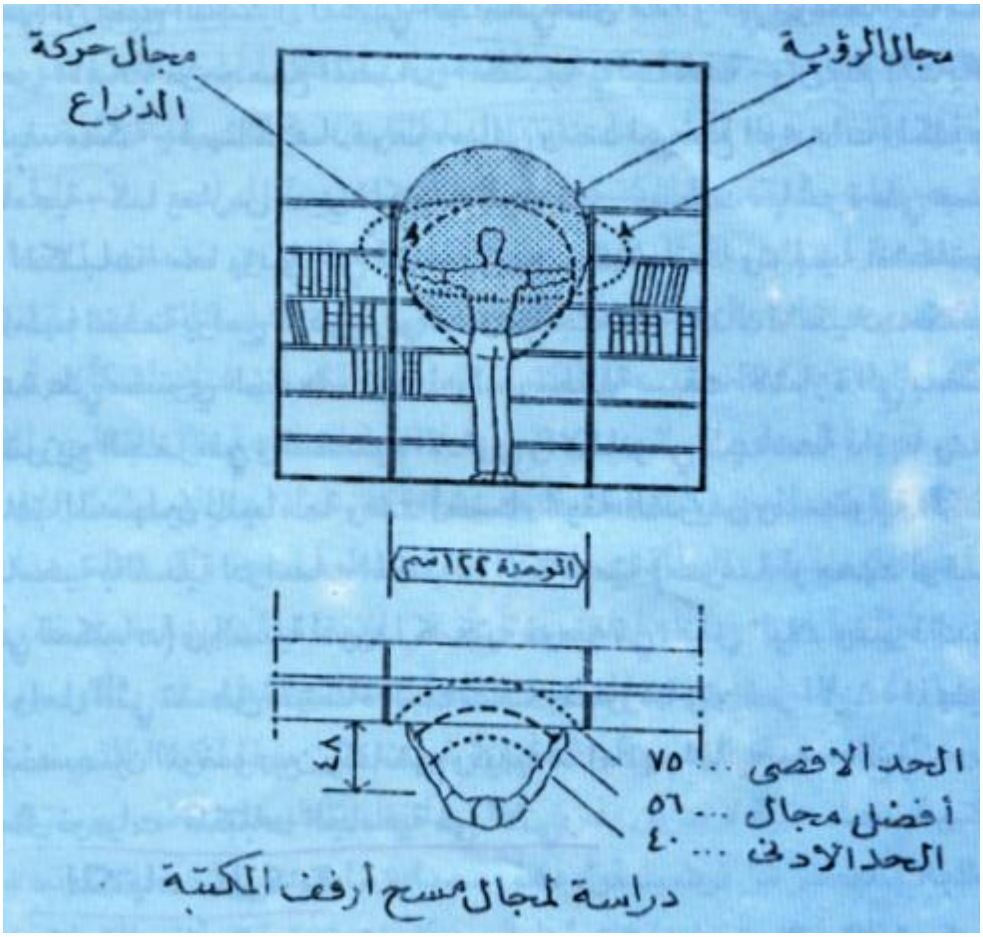

دراسة لمجال مسح أرفف المكتبة

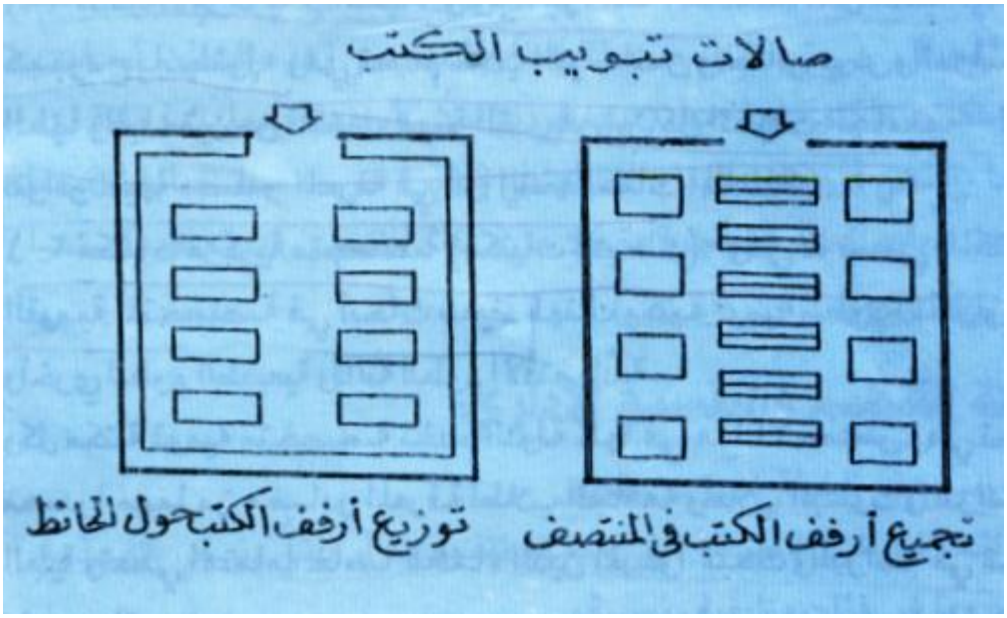

٣- قاعة أنشطة :

ان هدف هذه الأنشطة هو فتح افاق جديدة للطفل تغطي مجالات واسعه من المعرفة واكساب الطفل خبرات جديده وتنمية معلوماته ومن ضمن هذه النشاطات :

- عرض الشرائح الفيلمية.
- قراءة القصص للأطفال
- اماكن للرسم والهوايات
- لعب بالدمى .... إلخ

٤- المسرح :

نظرا للاتصال بين الكلمات المكتوبة والكلمات المسموعة اصبحت المكتبات أكثر ارتباطا بالمسرح وعادة يتواجد المسرح مع المكتبة في مبنى واحد ويرجع ذلك لانهما يشتركان في بعض الخدمات وان كلا منهما سيعاون في الدعاية للأخر إذا كان لابد من اشتراك هاتين الخدمتين في مبنى واحد فيفضل تصميمهما ظهرا الى ظهر تفاديا لمشكلة الضوضاء والجمهور.

أ- المسافة بين صفوف المقاعد ظهرا لظهر ٧٥ سم.

ب- عرض المقاعد ذات مسند ٥١ سم.

ج -عرض الكرسي بدون مسند ٤٥ سم.

د الفراغ الرأسي غير المعترض بين الصفوف ٣٧٠٥ سم.

المقاعد التي ترفع لأعلى بواسطة أوزانها

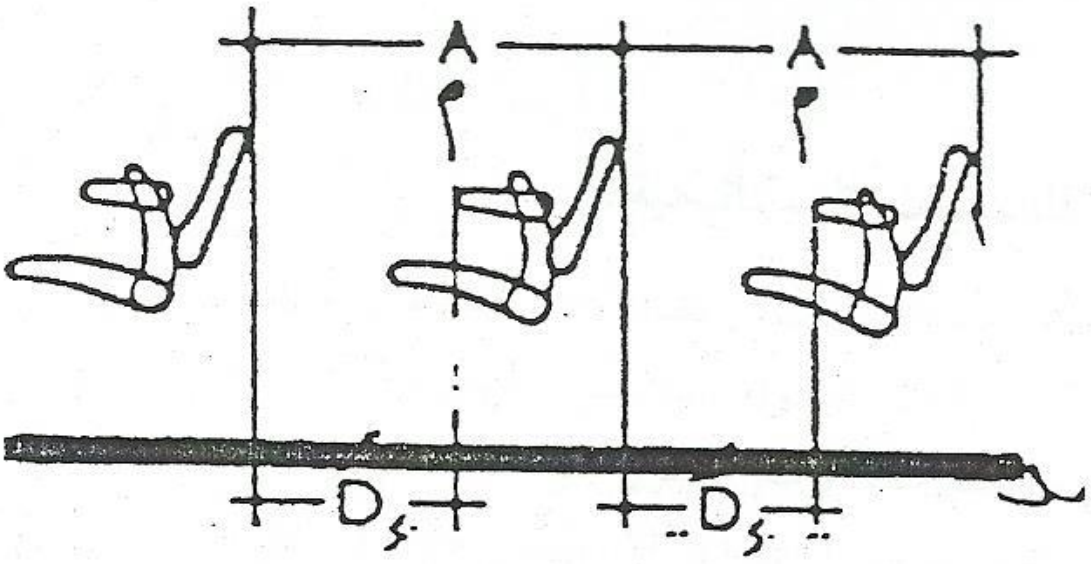

المقاعد الدائمة المثبتة بالأرض

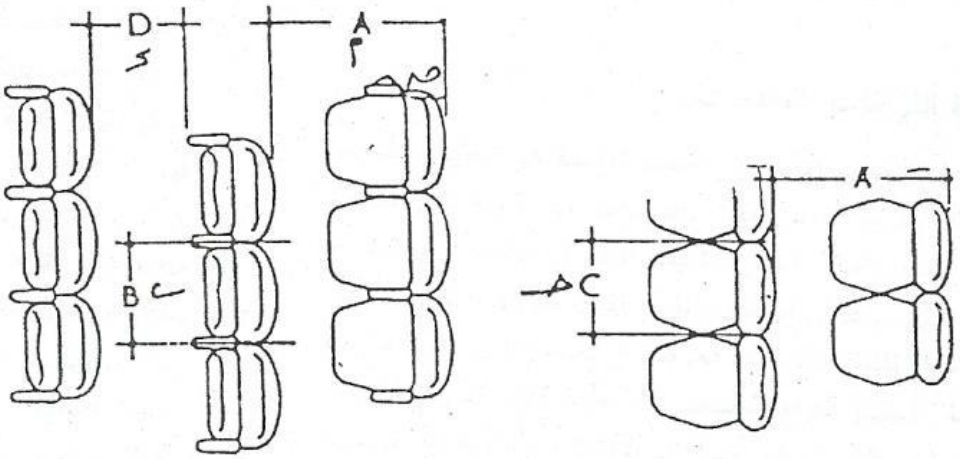

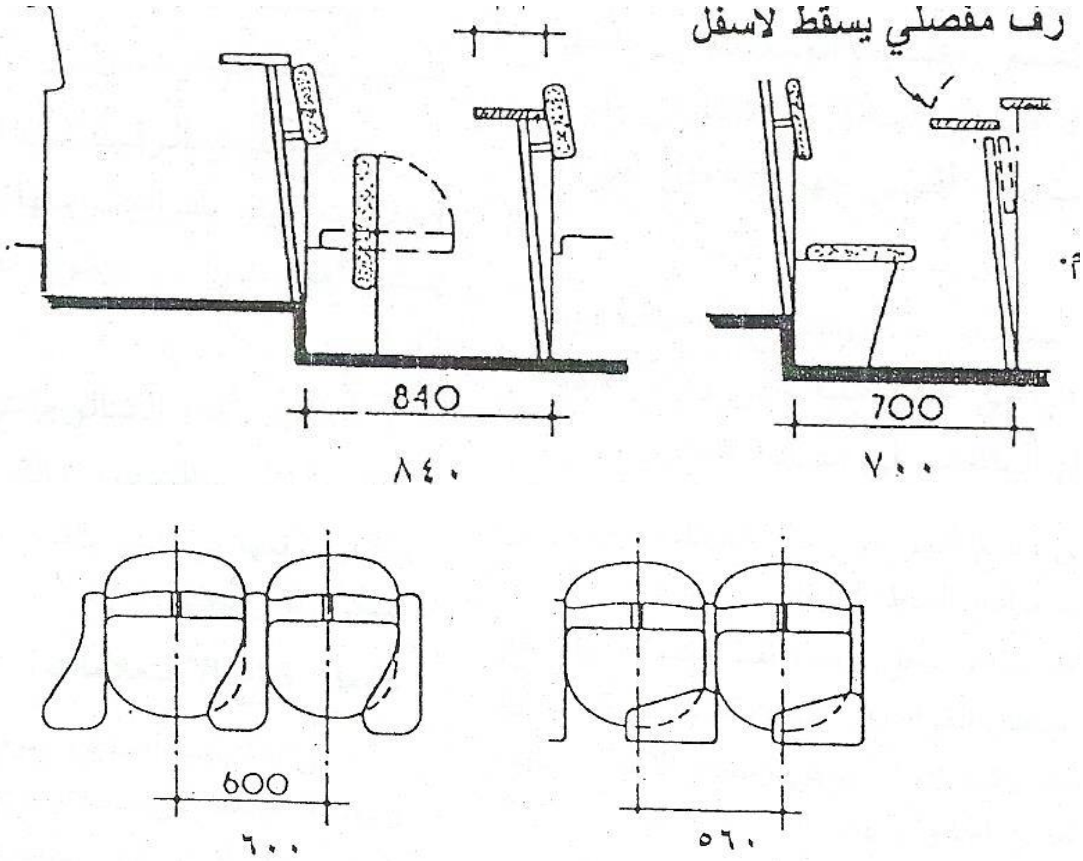

٦- قاعة الحاسب الآلي :

يكون نصيب الفرد تقريبا ٣٠٥ م٢، وتكون أبعاد فرش الغرفة :

- منضدة كومبيوتر: طولها حوالي ١١٥ سم، وعرضها حوالي ٠٧ سم.
- الكرسي : ارتفاع الكرسي حوالي ٤٥ سم يناسب منضدة الكومبيوتر.

ويراعى التهوية الجيدة داخل قاعة الانترنت حفاظا على الأجهزة الموجودة، والإضاءة تكون في مستوى الشاشة حتى لا ينعكس الضوء على الشاشة.

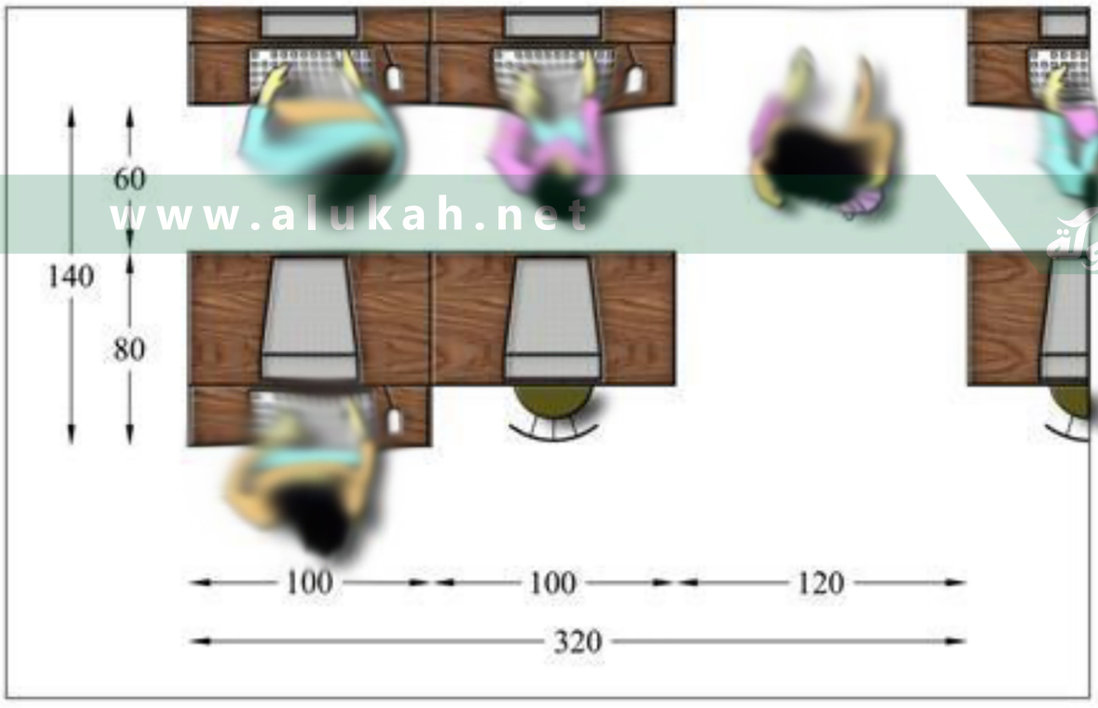

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٧- القسم الاداري :

تعتبر الإدارة هي المحرك الرئيسي للمكتبة ويفضل اختيار التوجيه الجنوبي الغربي حتى تصل الإضاءة لعمق المكتب.

وهي عنصر من الدرجة الثانية في تصميم المكتبات حيث يتوجب على المصمم تيسير سبل الوصول والخروج وتلاشي الازدحام والتعارض في مسارات الحركة بين الزائر والموظف عن طريق تخصيص مدخل خاص بالإدارة في حالة زيادة حجم المبنى واتساع انشطته.

- تصميم غرف الإدارة يمتاز بوضوح الفكرة وبساطة التكوين والعلاقات الانتفاعية السليمة لعناصره مع المرونة اللازمة لتصميم الفراغات الداخلية.
- وجود مكان للتخديم.
- وجود أماكن للتخزين في المبنى.

٨- غرف الموظفين :

يكون عرض الممرات بين المكاتب ١٩٠ سم، والمكتب ١٦٠ × ٨٠ سم وارتفاع ٧٨ سم، يشغل الموظف العادي مساحة ٢٠٣٧ م٢ بينما الموظف في غرفة مشتركة مساحة ٥م٢.

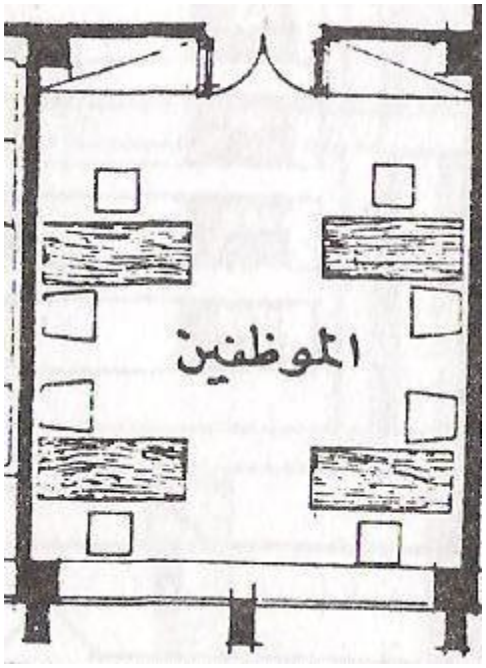

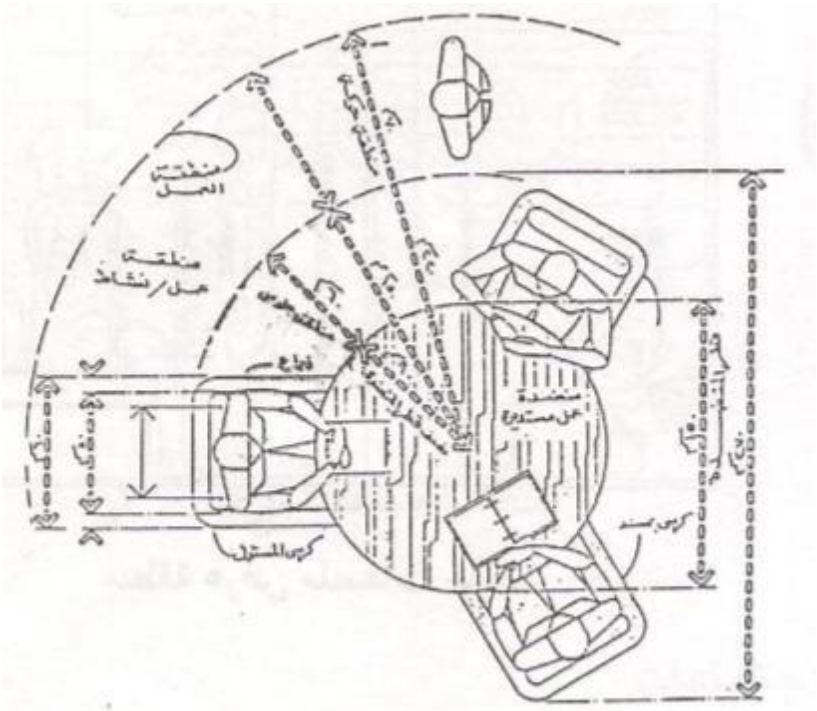

منطقة عمل مسئول على منضدة مستديرة

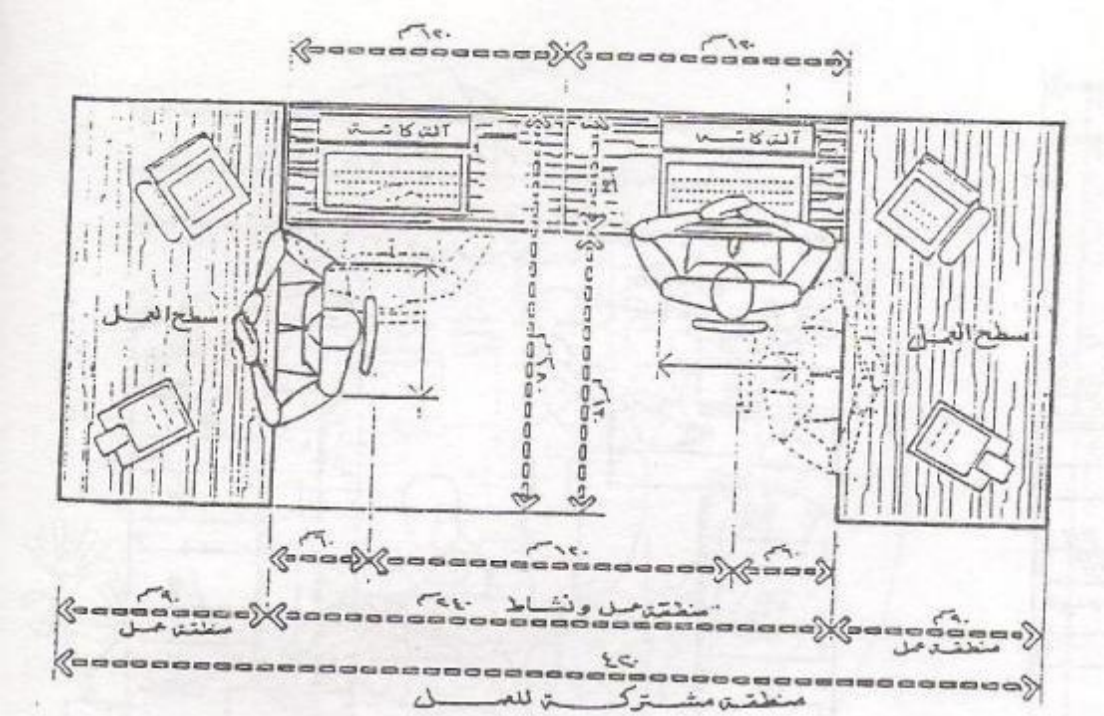

مناطق عمل متلاصقة على شكل حرف U

٩- دورات المياه للجنسين :

لا يقل الحد الادنى لمساحة الدورة عن ١٠٢٧ م٢، ويفضل أن يكون التوجيه للجنوب.

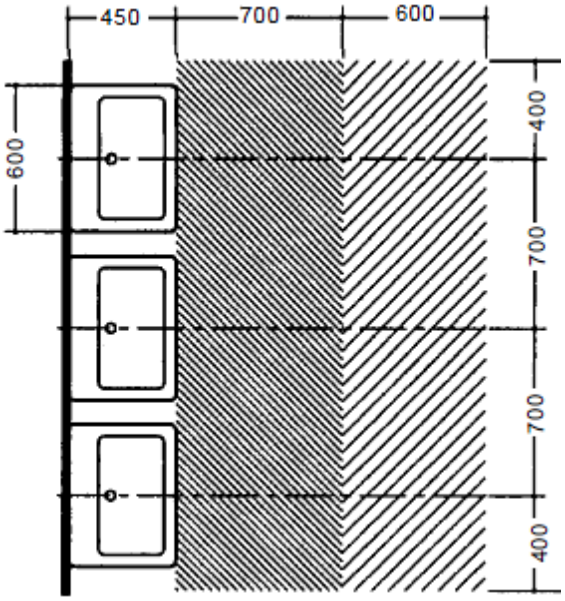

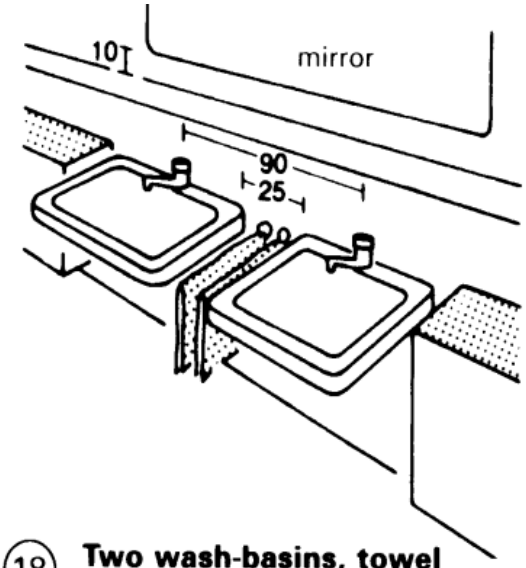

(18) Two wash-basins, towel rails between

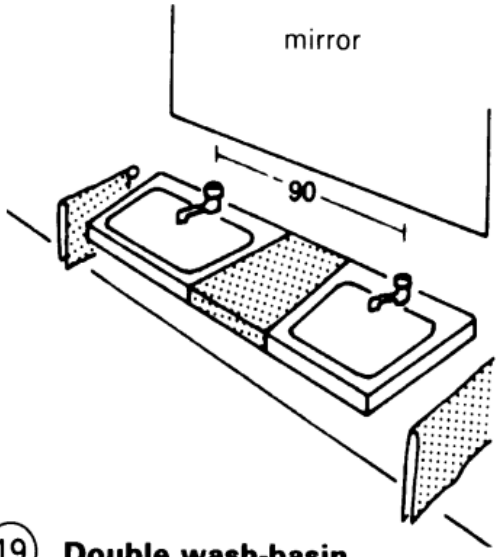

(19) Double wash-basin

ويجب الحذر تمام في اختيار اماكن دورات المياه ومراعاة ابعادها عن صالات القراءة والمخازن وذلك لتجنب تلف المحتويات نتيجة لتسرب الرطوبة، وفي نفس الوقت تكون سهلة الوصول اليها ويجب فصل دورات المياه العامة عن دورات مياه الموظفين.

١٠- منطقة مفتوحة للعب الأطفال :

وذلك في حال مكتبات الأطفال، وتكون معايير تصميم ملاعب الاطفال هي :

إيجاد طرق ومعابر أمنه لسلامة وصول الأطفال إلى الموقع سواء مشيا أو باستخدام الدراجات.

ويجب أن يكون موقع الملعب بعيداً عن الحركة المرورية ومسببات الحوادث.

وتخصص مساحة ٢٥٠م٢ للجلوس والنزهة واللعب وتخدم ٢٥ طفلا

ومن عناصر حدائق الاطفال :

أ. مساحة لألعاب الاطفال.

ب. مساحة لمرافقي الأطفال وذلك بغرض المراقبة والملاحظة.

ج. مساحة مخصصة للنساء والأمهات ويراعى فيها عامل الخصوصية.

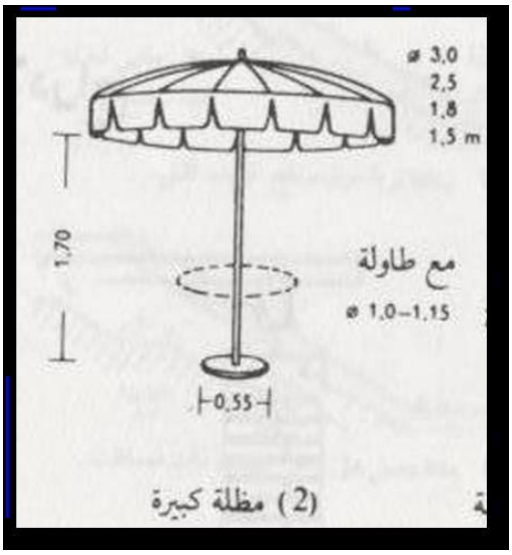

(2) مظلة كبيرة

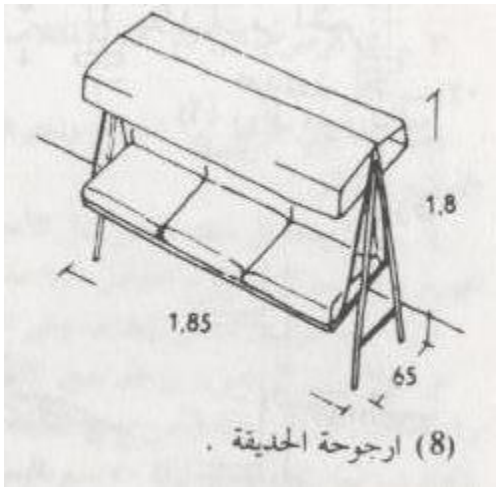

(8) ارجوحة الحديقة .

الرياضة

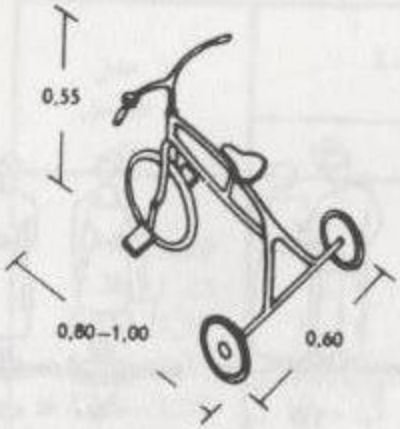

(19) دراجة ثلاثية .

(20) دراجة ثنائية .

١١- مواقف السيارات:

الحد الأدنى للأبعاد المناسبة لوقوف أي نوع من أنواع سيارات الركاب العادية الطول ٥م والعرض ٣م، وفي حالة الوقوف المتوازي يكون الطول ٥م، والعرض ٢.٥ م.

مداخل ومخارج مواقف السيارات :

• يجب أن تكون المداخل والمخارج بعيده عن تقاطعات الشوارع حتى لا تؤثر على حركة المرور.

• يجب أن تؤمن المساحة المخصصة للسيارة الواحدة حيث تضمن سهولة حركة السيارة عند دخولها و خروجها منه.

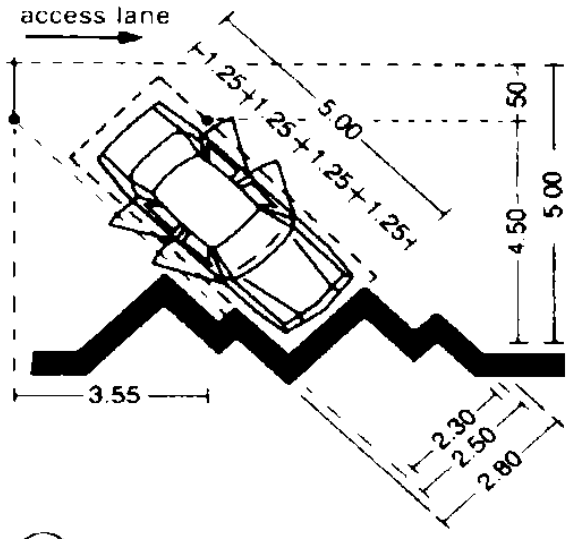

(2) **Parking at 45° to access lane**

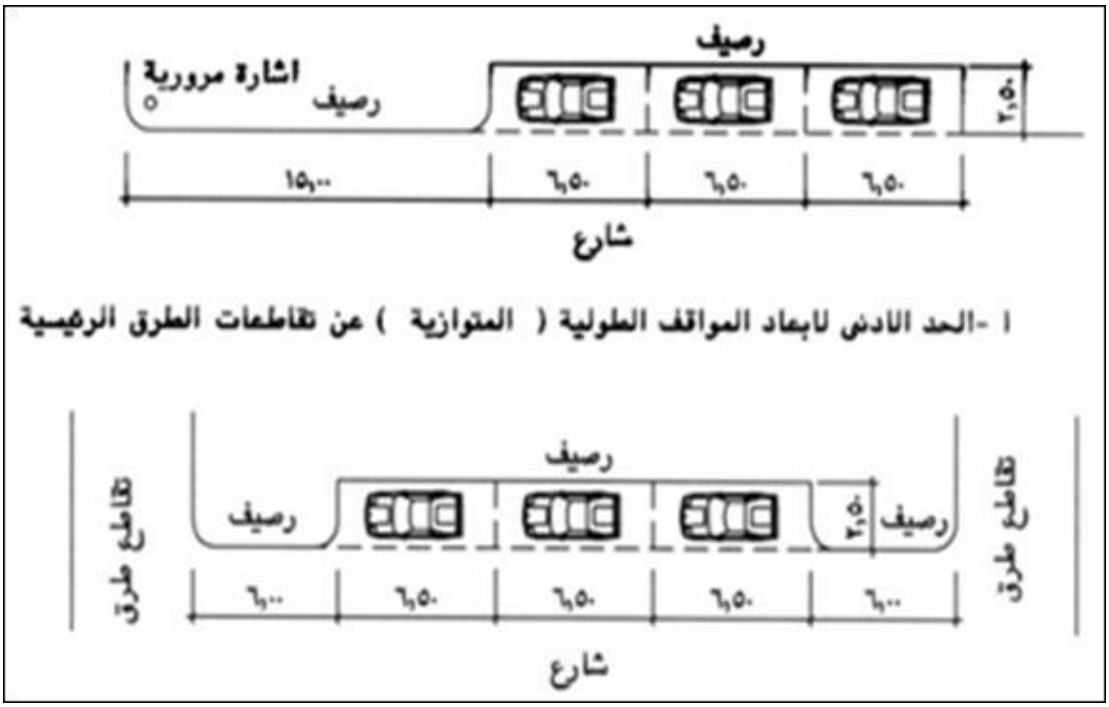

١٢- معايير شكل مكتبات الأطفال :

- الموقع بعيد عن الضوضاء.
- المبنى من طابق واحد او ارضى.
- المساحة مستقلة وتناسب سن الاطفال
- الاثاث والتجهيزات تناسب احتياجات الطفل وعمره الزمنى، الحجم، المتانة، الارتفاع، الاتساع.
- مكان دورة مياه وكافيتيريا.
- مراعاة عوامل الاضاءة والتدفئة والتهوية والشمس.
- محاطة بالأشجار او بساحات وحدائق.
- مراعاة عوامل الامن والامان والسلامة.
- مراعاة عوامل البساطة والجمال والتنظيم والوضوح وسهولة الاستخدام والحركة.
- اماكن للأجهزة السمعية والبصرية، حواسيب، مكان للندوات، مكان للأنشطة المصاحبة، مسرح، سينما، شاشة عرض وأدراج ونظام الفهرسة، مكاتب العاملين.

١٣- اشتراطات التهوية والاضاءة للمكتبات :

إن القراءة والمطالعة تحتاج الى تركيز وهدوء شديدين لذلك يجب الوصول إلى أقل معدلات الضوضاء باستعمال الجدران السميكة ويجب اتخاذ الاحتياطات التالية :

١- يجب اختيار الموقع بحيث يتوفر فيه الهدوء.

٢- مراعاة العزل الصوتي للأسقف والحوائط العازلة.

٣- تجنب وضع صالات المطالعة الخاصة بالأطفال قريبة من باقي الصالات لمنع الضوضاء التي تحدث من عدم ادراك الطفل لمتطلبات المكان.

١.**المعالجة الصوتية** : وتكون بعدة أمور منها استعمال الجدران السميكة واختيار الموقع بعيدا عن الضوضاء، لأنه يجب مراعاة الهدوء المناسب الذي تحتاجه صالات القراءة، الامر الذي يستلزم استخدام اقل معدلات من الضوضاء سواء الخارجية وذلك باستخدام الجدران السميكة والبعد بصالات القراءة عن طريق المدخل الرئيسي او الداخلية عن طريق حركة المستعملين وذلك باستخدام الاثاث الخشبي وإكساء الممرات في صالات القراءة بالسجاد لامتصاص الصوت.

٢.**المعالجة الحرارية** : وتكون بالتهوية لتوفير الراحة واعطاء أجواء مقبولة بالنسبة للعاملين والقراء ومناخ ملائم لحفظ الكتب، وقد ثبت من الدراسة أن أفضل درجة حرارة تناسب القراءة تتراوح من ٢٠ -٢٢ شتاء و ٢٢ - ٢٦ صيفا، وافضل توجيه لصالات القراءة هو الذي نحصل من خلاله على اضاءة طبيعية غير مصحوبة بحرارة وافضل حركة هواء غير مباشرة.

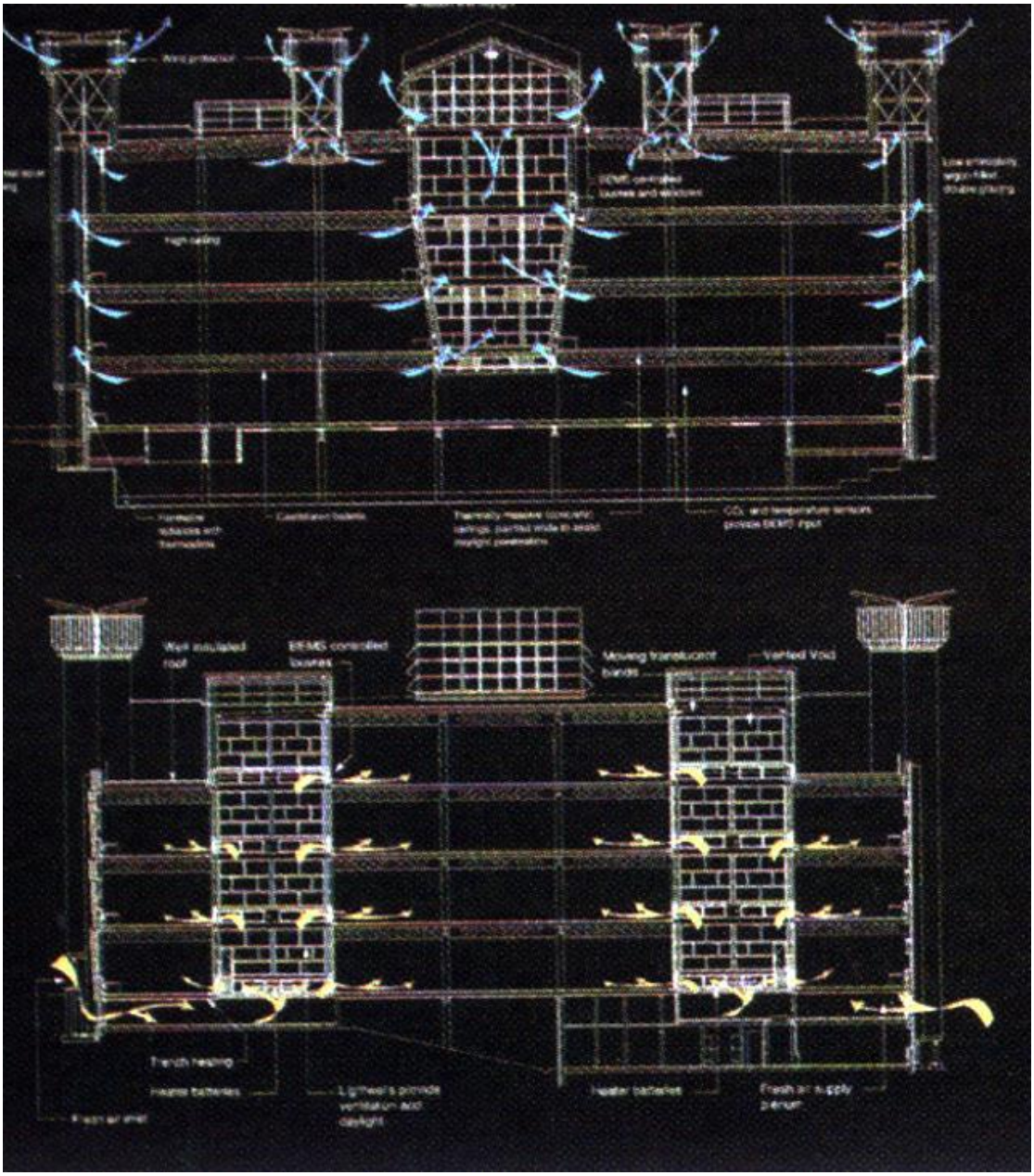

٣.المعالجة الضوئية : وتكون بالاستفادة من ضوء الشمس مع مراعاة عدم دخول اشعة الشمس المباشرة لتلافي الإبهار، وباستخدام ألوان فاتحه للجدران واستخدام لمبات الفلوروسنت مع تنوع أساليب الإضاءة بتنوع وتتابع الفراغات .

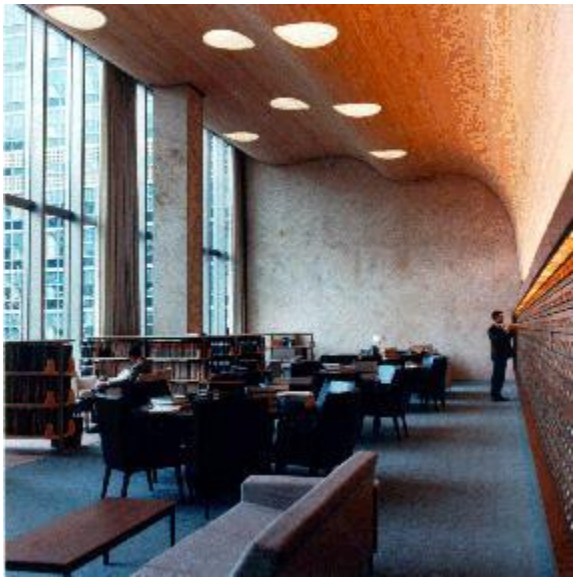

مكتبة داغ همرشولد

١٤- مخطط العلاقات الوظيفية للمكتبات :

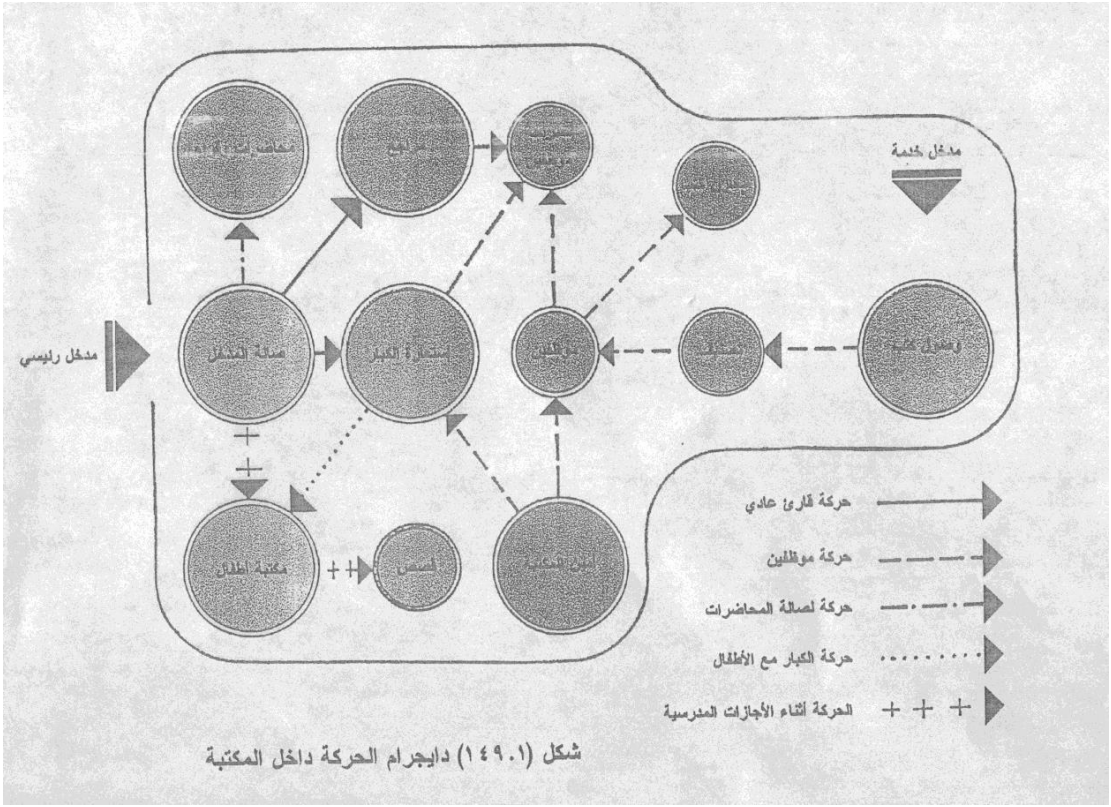

شكل (١٤٩.١) دايجرام الحركة داخل المكتبة

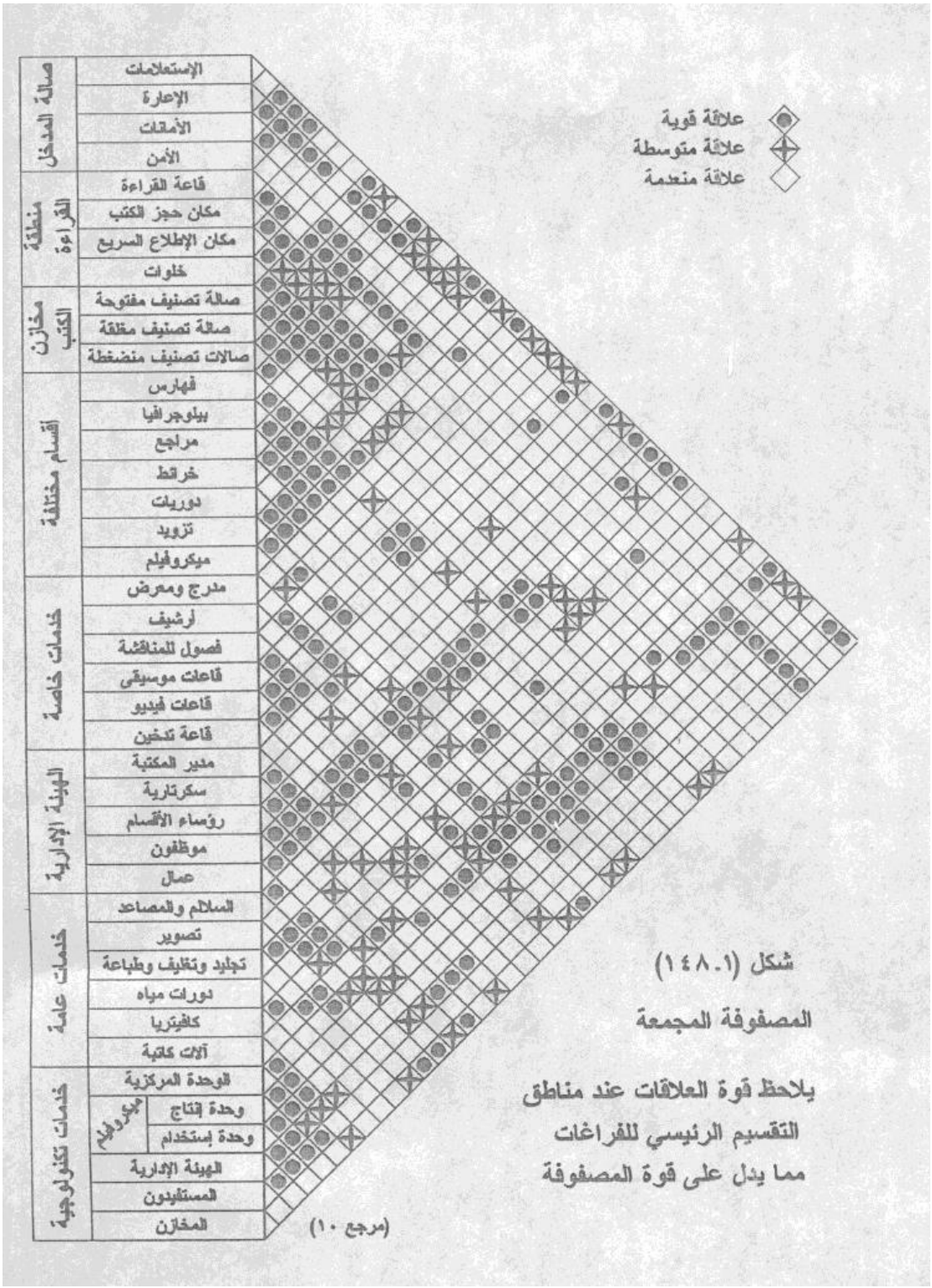

شكل (١٤٨.١)

المصفوفة المجمعة

يلاحظ قوة العلاقات عند مناطق التقسيم الرئيسي للفراغات مما يدل على قوة المصفوفة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

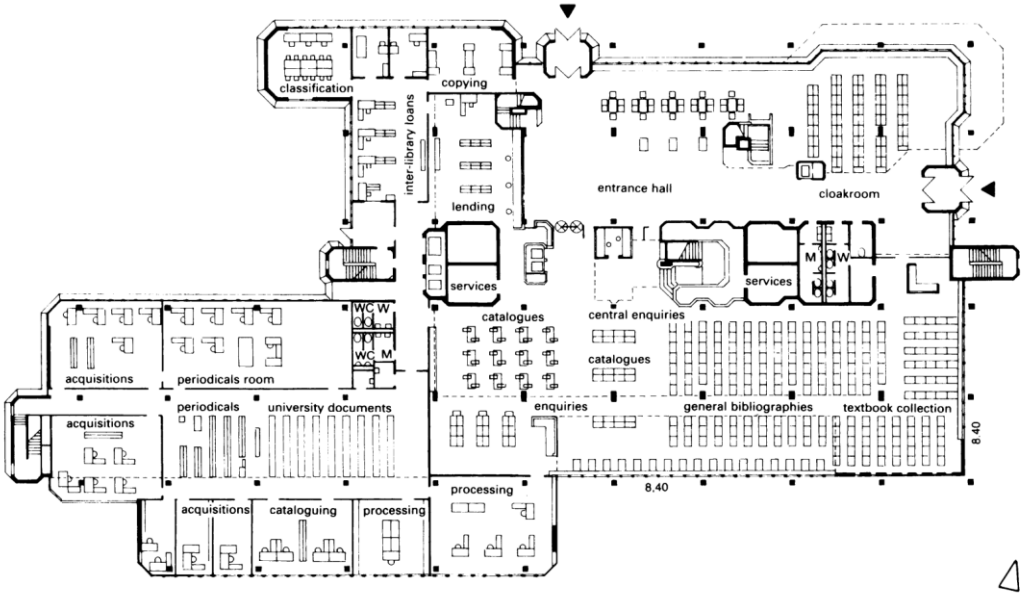

① **Ground floor of Düsseldorf University Library**

Designed by: Düsseldorf Architects Department

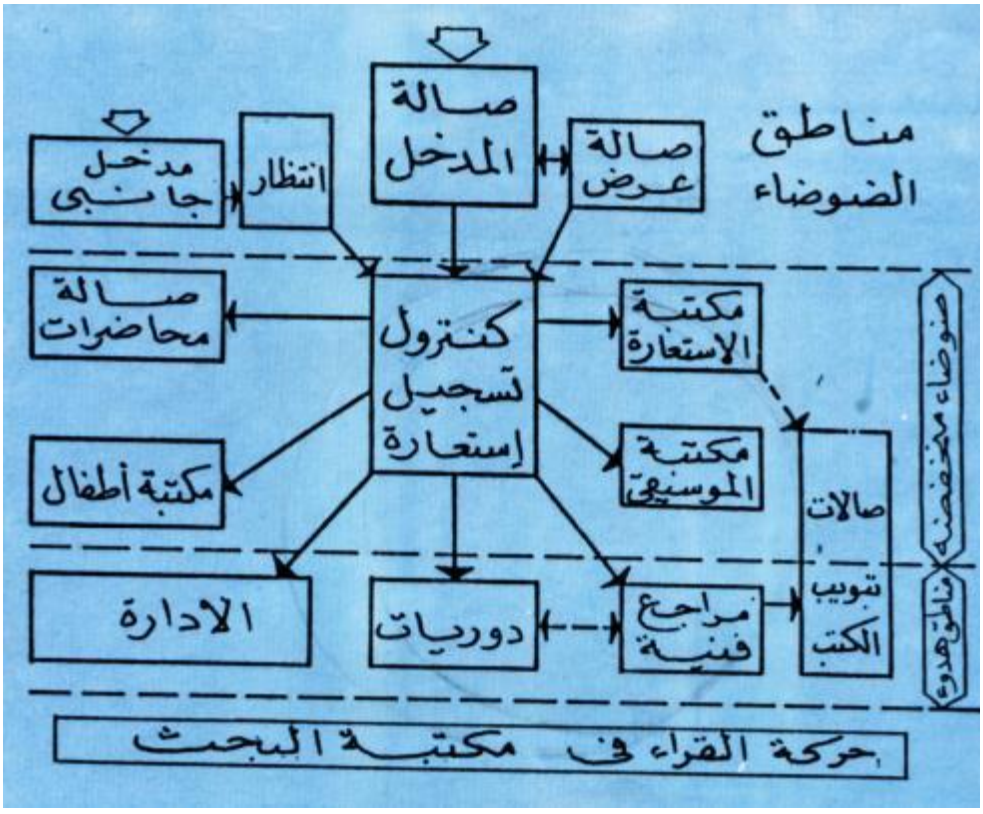

شبكة الألوكة - قسم الكتب

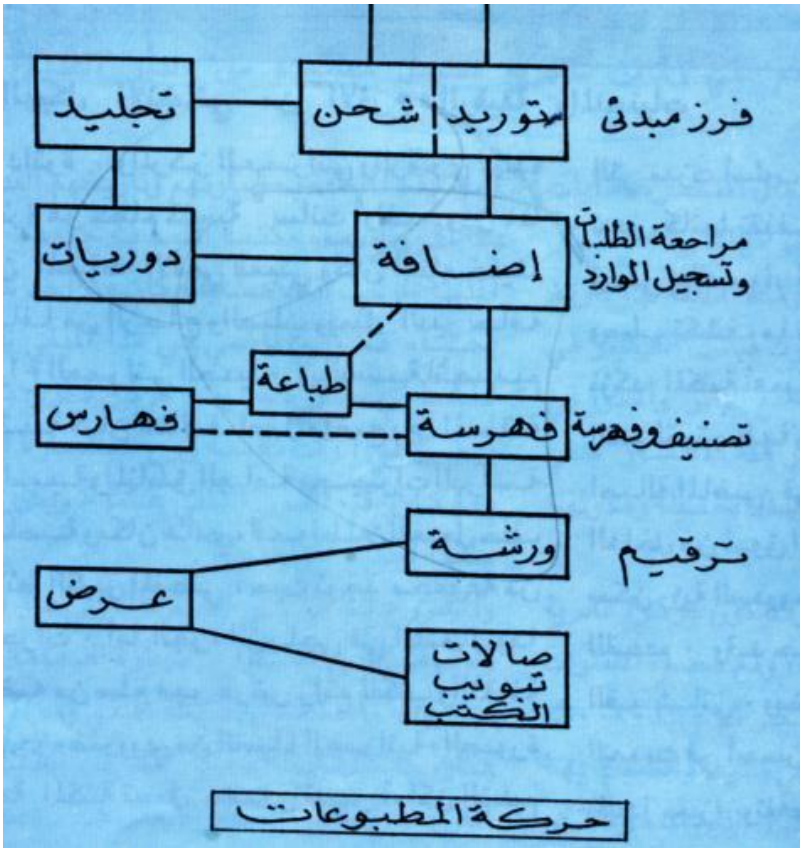
فرز مبدئي
تجليد
شحن
توريد
مراجعة الطلبات
وتسجيل الوارد
دوريات
إضافة
طباعة
تصنيف وفهرسة
فهارس
فهرسة
ترقيم
ورشة
عرض
صالات
تبويب
الكتب
حركة المطبوعات

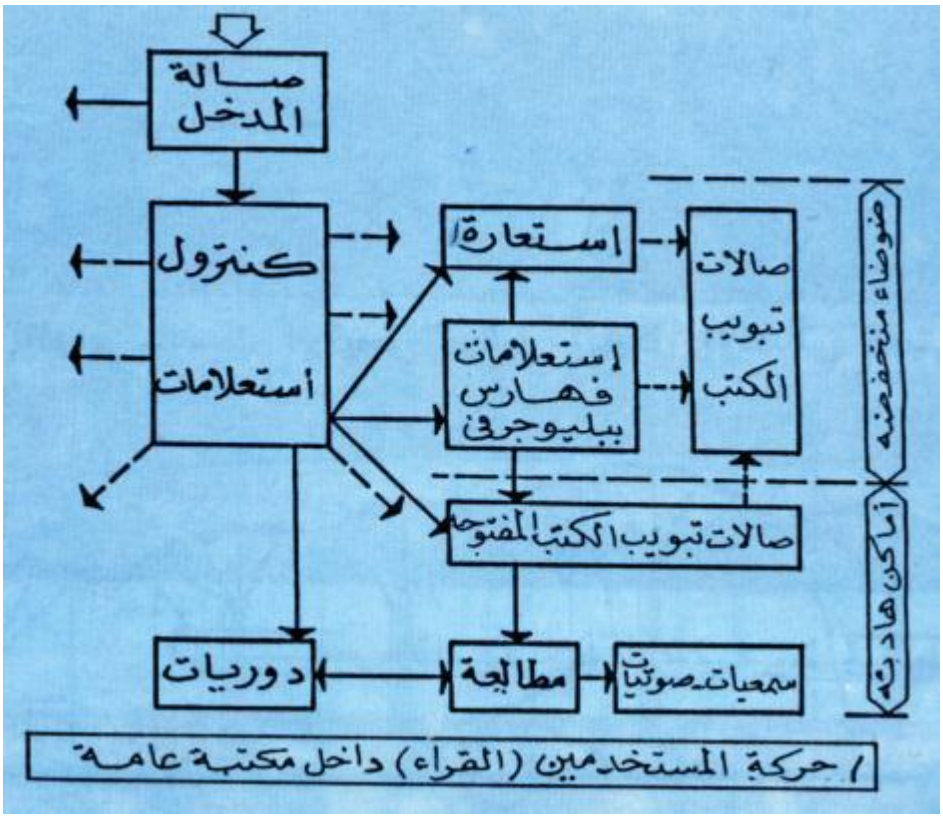
صالة
المدخل
كنترول
استعلامات
استعارة
استعلامات
فهارس
ببليوجرفي
صالات
تبويب
الكتب
صالات تبويب الكتب المفتوحة
دوريات
مطالعة
سمعيات بصريات
ضوضاء منخفضة
أماكن هادئة
حركة المستخدمين (القراء) داخل مكتبة عامة

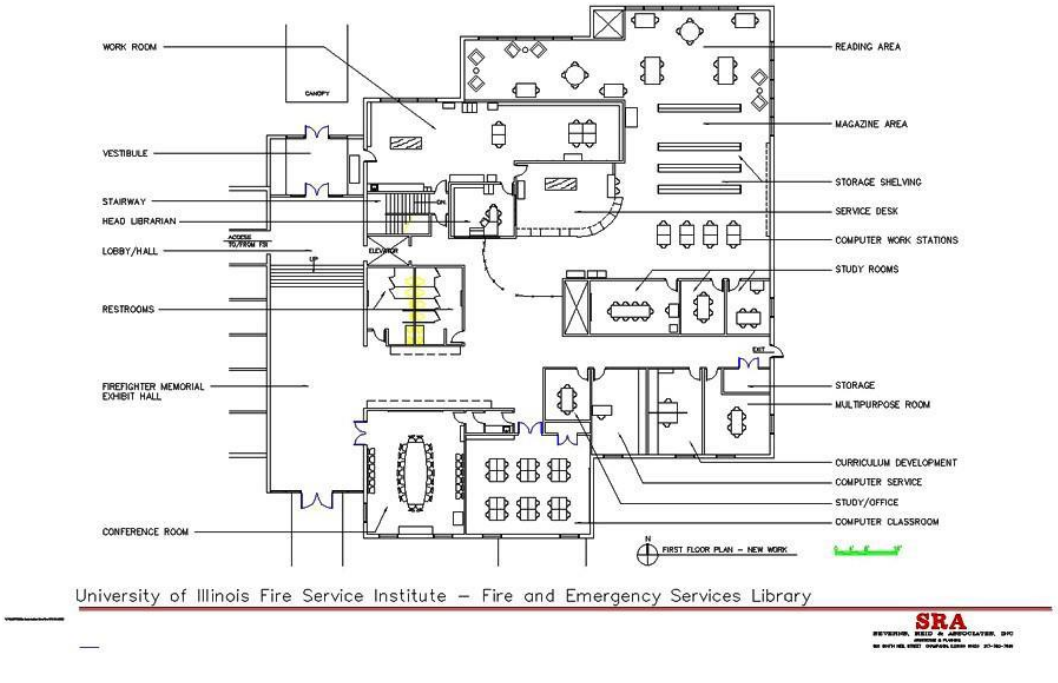

١٥- صالات مطالعة الدورات والنشرات :

هذا الفراغ لا يوجد الا في المكتبات الكبيرة أو التي تقوم بخدمة نوعية معينة من المستعملين أي ليس من الشرط تواجد هذا العنصر في كل المكتبات وهي غالبا تأخذ شكل صالات الاستقبال من حيث وضع الاثاث وكيفية وضع

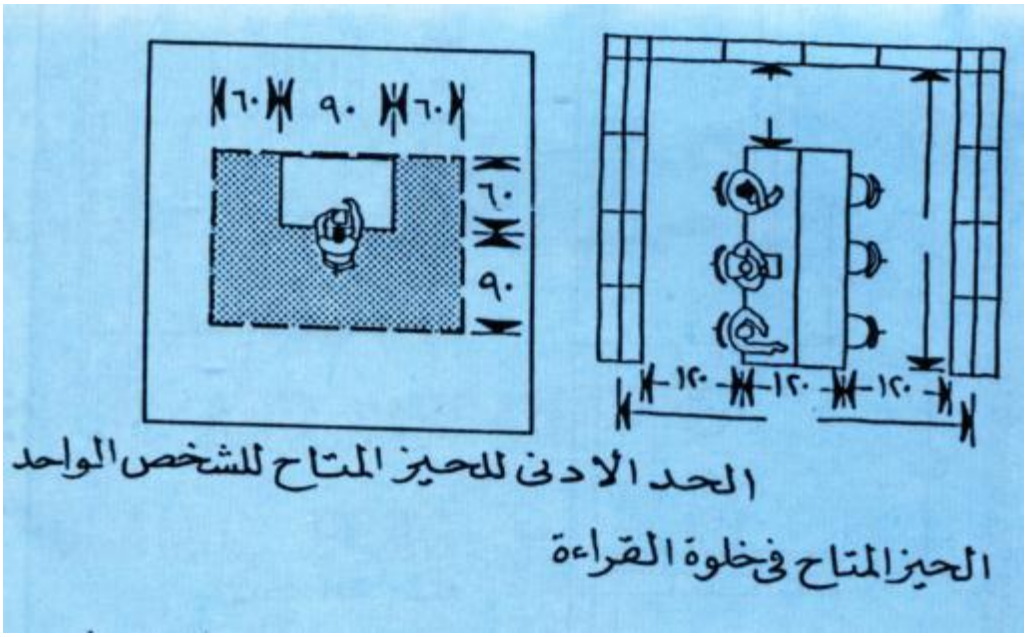

الحد الأدنى للحيز المتاح للشخص الواحد

الحيز المتاح في خلوة القراءة

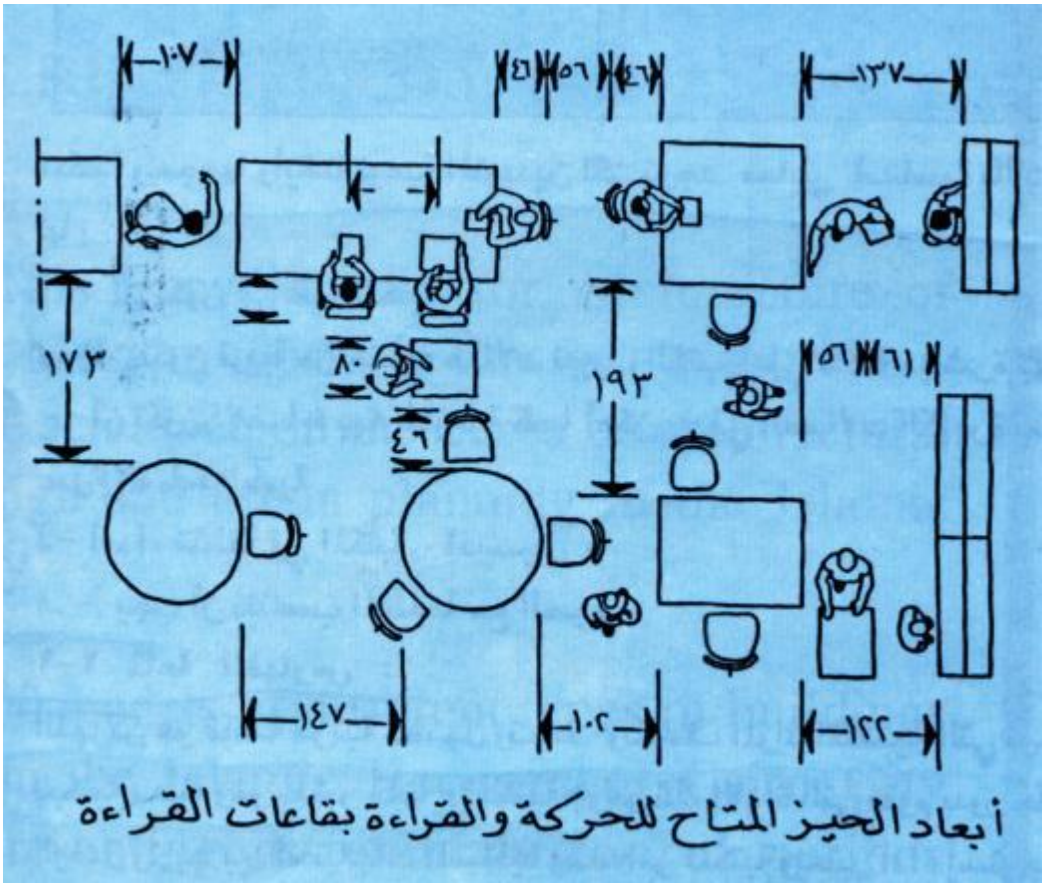

أبعاد الحيز المتاح للحركة والقراءة بقاعات القراءة

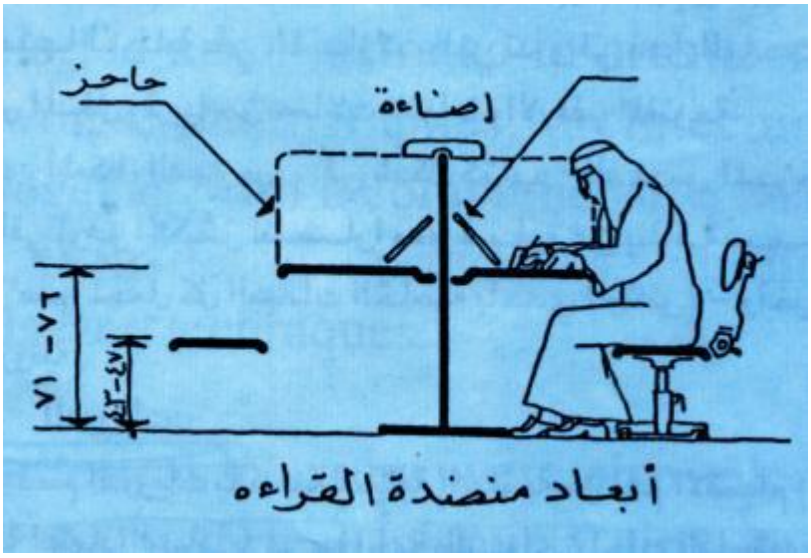
حاجز
إضاءة
٧٦ - ٧١
٤٧-٤٣
أبعاد منضدة القراءه

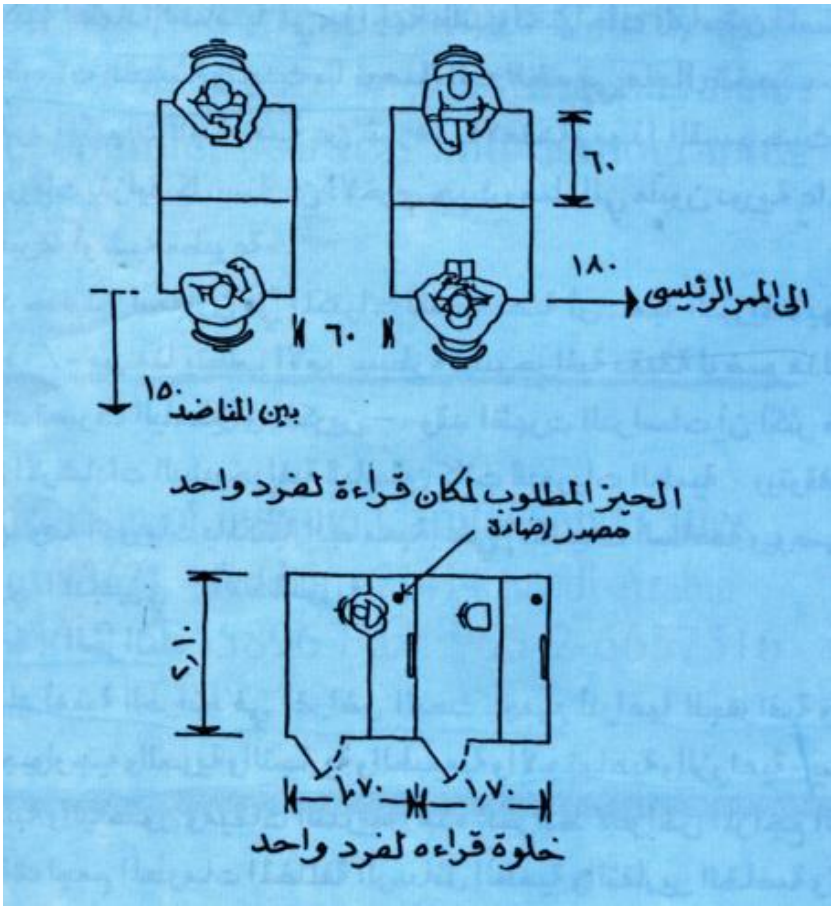

١٦- غرف المراجع :

وهي أيضا عنصر اساسي ولكن ليس في المكتبات الصغيرة ويتم التعامل معها كصالات القراءة تماما ويشكل الجزء المخصص للمراجع بخدماتها ١٣ % من مسطح المكتبة.

١٧- المخازن :

ولها دور هام جدا في المباني العامة عموما والمكتبات خصوصا ويفضل وجود مدخل منفصل لها – مدخل الخدمة– كي لا تتعارض مسارات الحركة الداخلية للمكتبة مع حركة دخول الكتب.

١٨- مسارات الحركة :

يجب ان تتسم مسارات الحركة الداخلية بالمرونة الشديدة مع مراعاة عدم تقاطعها وذلك لطبيعة النشاط الذي يعتمد اساسا على الفراغ المفتوح، ويجب ان تكون عناصر الاتصال الرأسية والسلالم سهلة الوصول اليها مع مراعاة توفير سلالم تستخدم في حدوث طوارئ (سلالم الهروب) كالزلازل والحريق.

الفصل السادس : أسـباب تطور وازدهار المكتبات الإسلامية وعوامل اضمحلال وزوالها :

ويشتمل على :

أولاً : أسـباب تطور وازدهار المكتبات الإسلامية.

ثانياً : عوامل اضمحلال وزوال المكتبات الإسلامية.

الفصل السادس : أسـباب تطور وازدهار المكتبات الإسلامية وعوامل اضمحلال وزوالها :

ويشتمل على :

أولاً : أسـباب تطور وازدهار المكتبات الإسلامية :

وتتلخص في :

١) ازدهار حركة التأليف والترجمة .

٢) تشجيع الخلفاء والحكام المسلمين للعلم والعلماء .

٣) انتشار صناعة الورق في بغداد والبلاد الأخرى .

٤) ظهور حركة الوراقين وهم أصحاب الحوانيت أو الدكاكين التي كانت تنسخ وتبيع وتؤجر الكتب .

٥) جهود الوزراء والأمراء العلماء وأهل الصلاح المسلمين في بناء المكتبات الإسلامية.

ويمكن القول إن معظم أنواع المكتبات التي نعرفها اليوم قد عرفتها الحضارة العربية الإسلامية وخاصة في العصر العباسي، عصر الإبداع والنضج في الحضارة العربية الإسلامية[١].

هذا وقد كانت المكتبات الإسلامية منظمة تنظيماً علمياً وتخدم جمهور المطالعين بكفاءة ويسر، ان تاريخ المكتبات يكون جانباً مهما في تاريخ علوم المكتبات ، بوجه عام فقد عرفت المكتبات منذ القدم في الشرق القديم في المعابد .

ثانياً : عوامل اضمحلال وزوال المكتبات الإسلامية :

لقد انحطت هذه المؤسسات العلمية وزال أغلبها من الوجود بعد هذا الماضي التليد والتاريخ الحافل والحياة العريضة الفاخرة التي سجلتها المكتبات الإسلامية، وكان السبب في زوالها عدة عوامل هي :

العامل الأول : العوامل البشرية :

وتنقسم إلى قسمين :

---

(١) سعيد أحمد حسن، **أنواع المكتبات في العالمين العربي والإسلامي**، دار الفرقان، الأردن (عمان)، ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ، ط١، عدد الصفحات ٩٣، ٢.

١- العوامل الداخلية :

وهو ما اعترى العالم الإسلامي من تفكك وتفتت وانهاك وانهيار وما أصابه من ضروب المحن والثورات والحرائق واستلام الحكام الجهلة زمام الأمور وتحكمهم بأموال الناس وأرواحهم، وكذلك ما أصاب المسلمين أنفسهم من جمود وضعف وتأخر، ونتيجة لتقهقر الحياة العقلية وتأخرها عند المسلمين، وقد سبق أن قلنا أن المكتبات الإسلامية تعكس من تاريخها وتطورها حياة المجتمع الإسلامي وصيرورته، وهي في الوقت نفسه ثمرة هذا المجتمع وثمرة حياته وانعكاس لها. وقد ذُكر سابقاً مصائر كثير من المكتبات النفيسة الفخمة كمكتبة الحكم الثاني في قرطبة ومكتبة الحاكم بأمر الله الفاطمي في القاهرة ومكتبات الفواطم وغيرها.

٢- العوامل الخارجية :

ويتمثل في الغزو المغولي والغزو الصليبي والإسباني والفرنسي وغيرهم، ومن الملاحظ أن العالم الإسلامي تعرض خلال القرون الأربعة الميلادية الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر لهجمات منظمة مستمرة من الغرب والشرق بقصد تخريبه واجتياح أراضيه، فقد بدأ المغول هجومهم على العالم الإسلامي منذ أوائل القرن الثاني عشر بل أبكر، وكان الموت والدمار والخراب يحل بكل مكان تطؤه أقدامهم، فقد دخلوا بخارى وهي مدينة مزدهرة عدد سكانها يزيد على أربعمائة ألف انسان وعندما تركوها، تركوها أنقاضاً لا حياة فيها سويت بالأرض بعد أن نهبت ذخائرها وقتل رجالها وسبى نساؤها، وحدث مثل ذلك لجميع المدن والقرى التي قدر الله لها أن تكون مسرحاً لغزواتهم، وكان نصيب المكتبات من الخراب والدمار نصيباً موفوراً، فقد دمر المغول المكتبات الرائعة الفخمة العشر التي ذكرها ياقوت والتي كانت موجودة في مرو وكذلك فعلوا في ساوة وفي جميع البلدان الأخرى، ولما وصلوا إلى قلعة الموت الشهيرة مقر الطائفة الاسماعيلية لم تصمد في وجههم ودمروها تدميراً تاماً وزال معها شيخ الجبل وخزانة كتبه المشهورة[١]، ولما احتلوا بغداد فعلوا فيها الأفاعيل فدمروا قسماً كبيراً منها وبذلوا السيف في أهلها حيث قتل منهم ثمانمائة الف نفس وخربت بغداد الخراب العظيم واحرقت كتب العلم التي كانت فيها من سائر العلوم والفنون التي ما كانت في الدنيا[٢]، ويقول ابن خلدون انه القيت وقت فتح

---

(١) لويد، **سيتون الرافدان**، ص: ٢٣٩.

(٢) ابن تغرى، بردى، **النجوم الزاهرة**، ٧/٥٠-٥١.

بغداد كتب العلم التي كانت في خزائنهم بدجلة[١]، ويذكر محمد كرد علي : "أنه (أي هولاكو) بنى بكتب العلماء اصطبلات الخيول وطاولات المعالف عوضاً عن اللبن، وقيل أن ماء دجلة تغير لونه لكثرة ما ألقى فيه التتر من الكتب والأوراق، قيل انه أقام بكتب العلم ثلاثة جسور على دجلة"[٢]. وذلك طبعاً عدا ما نهب من كتب العراق والجزيرة والشام ووضع في مكتبة الرصد في مراغة على ما مر معنا سابقاً.

وقد لاحظ الإسبان أن الكتب العربية والثقافة الإسلامية عاملان مهمان في تمسك المسلمين بدينهم، فحاولوا إلغاء الثقافة الإسلامية وذلك عن طريق تحريمها وتحريم تعليمها وإبادة أوعيتها، وقد حاول رئيس أساقفة غرناطة أن يرفع من الاستعمال ما أمكن من الكتب العربية في مختلف فروع العلوم الإنسانية فأمر بإحراقها فثار المسلمون وبعد فترة تولى الكردنيال كسينميس الأمور في المدينة، وكان ذلك سنة ١٥١١م فأصدر أمره بجمع جميع الكتب العربية ولا سيما المصاحف منها فجمعت وكانت غرناطة نفسها مسرحاً لإحراق أكبر عدد من الكتب العربية في جميع أنواع الفنون ومختلف فروع المعرفة[٣]، وقد اختلف المؤرخون بتقدير عدد الكتب التي أحرقت بين مقل ومكثر، والعدد يتراوح بين المليون والسبعين ألفاً.

كما قام الاستعمار بمصادرة مصادر تمويل عمارة ورعاية وصيانة المكتبات الإسلامية وأهمها الأوقاف الإسلامية، حيث كانت الأوقاف تشكل المورد الأساسي لعمارة ورعاية وتجديد وتطوير المكتبات الإسلامية، ومثال ذلك الجزائر: فمنذ دخول المستعمر الفرنسي أرضها شرع في تقويض دعائم نظام الوقف، وتشتيت شمله وهدم معالمه، فقد رأت السلطات الفرنسية في مؤسسات الأوقاف أحد العقبات الصعبة التي تحد من سياسة الاستعمار، فقد عملت الإدارات الاستعمارية (كالإدارة الفرنسية) من خلال مراسيمها وقراراتها المتتالية فيما يخص الوقف الى تصفية مؤسسات الوقف وإدخال الأملاك الوقفية في نطاق التعامل التجاري والتبادل العقاري، حتى يسهل للأوربيين امتلاكها تحويل ملكيتها للدولة بدل الشعب، " وذلك بإلغاء الأوقاف شكلا

---

(١) ابن خلدون، **كتاب العبر**، ٥٤٣/٥.

(٢) كرد علي، محمد، **الإسلام والحضارة العربية**، ٢٣٢/٢.

(٣) نفس المصدر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومضمونا أو مضمونا" [1]، ويُنبه إلى أن " كل ما سُمع عن الاستعمار الفرنسي ينطبق تماماً على الاستعمار البريطاني والإيطالي والبرتغالي وسوى ذلك من جنسيات الاستعمار الأخرى"[2] .

وللحقيقة والتاريخ يظهر أن حقد أوربا على المسلمين وحضارتهم وتراثهم المكتوب وكتبهم ظل كما هو لم يتغير ولم ينقص ولم يزده كر العصور غلا اضطراماً، وإن اختلفت البواعث والأسماء، واستمر احراق الكتب العربية حتى القرن التاسع عشر والقرن العشرين، فقد ذكر الفرد تبلر في كتابه فتح العرب لمصر نقلاً عن سيديو أن الفرنسيين عندما فتحوا قسطنطينة في شمالي أفريقيا أحرقوا كل الكتب والمخطوطات التي وقعت في أيديهم "كأنهم من صميم الهمج"[3]، بل إنَّ منظمة التحرير الفرنسي السرية التي تألفت في الجزائر قبيل استقلالها تحرق مكتبة جامعة الجزائر المحتوية على أكثر من نصف مليون كتاب، وقد تم هذا في النصف الثاني من القرن العشرين.

وأما ما سلم من الكتب العربية والتراث الإسلامي المخطوط فقد ران عليه جهل مظلم وتعصب ذميم بحيث راح أغلبه طعاماً للأرضة أو النيران أو الأتربة والغبار ولم ينتبه أحد له أو لقيمته، فقد روى المقريزي أنه سنة ٦٩١ هـ وقع حريق هائل في احدى خزائن الكتب في القاهرة فتلف بها من الكتب في الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شيء كثير جداً كان ذخائر الملوك فانتهبها الغلمان وبيعت أوراقاً محرقة فظفر الناس منها بنفائس غريبة ما بين ملاحم وغيرها وأخذوها بأبخس الأثمان[4]، وظل الحال على هذا المنوال حتى بدأ الاحتكاك مع الغرب وبدأ الغرب اغارته على العالم الإسلامي وبدأ يسطو على كنوزها وكان من جملة ما سطا عليه المخطوطات العربية، وإذا قدر لأحدنا أن يزور مكتبات الغرب الكبرى فسيجدها تزخر بروائع تراثنا المخطوط وهي تشكل أجود وأثمن وأجمل محتويات تلك المكتبة من المخطوطات، وقد كان ذلك خسارة للثقافة والمعرفة والحضارة الإسلامية خاصة والمعرفة والحضارة الإنسانية عامة لا تعوض.

---

(١) د.عبد الرحمن حبنكة الميداني، **أجنحة المكر الثلاثة**، ١٥٢

(٢) محمد عزت الطهطاوي، **التبشير والاستشراق**، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط،١٤١١هـ/١٩٩٠م، ٢٢و٢٣ .

(٣) بتلر، الفرد، **فتح العرب لمصر**، الهامش، ٣١٢.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، ١٣٤/٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

العامل الثالث : العوامل الطبيعية :

وتشمل العوامل التالية :

١ – الزلازل :

كان للكوارث الطبيعية التي مرت ببلاد المسلمين من زلازل[١] وفيضانات دور كبير في اضمحلال المكتبات الإسلامية، حيث أدت إلى تدمير الوضع الصحي لدى سكان الدولة الإسلامية بشكل عام، وهذه الكوارث تركت خلفها فئة كبيرة من المصابين والمعاقين عقب كل زلزلة أو كارثة، حتى أصبحوا عاجزين عن ممارسة أعمالهم، ونتيجة حتمية لهذه الزلازل تم تدمير الكثير من هذه المكتبات وغيرها من منشآت عمرانية ومساكن ولو تتبعنا جزءاً من هذه الكوارث والمصائب، وأثرها على حياة العامة لوجدناها دمرت الكثير من البنى التحتية للدولة الإسلامية.

٢ – الفيضانات:

تعرضت البلاد الإسلامية لموجة كبيرة من الفيضانات والسيول والأمطار الجارفة، التي أدت إلى تدمير جزء كبير من المدن الإسلامية والمكتبات، ومنها مكتبات البيمارستانات، فقد هدم بيمارستان بغداد العضدي، تدميراً كاملاً نتيجة هذه الفيضانات خصوصاً في عهد القائم بأمر الله ٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣٠-١٠٧٤م فعمل الخليفة القائم على تجديده وإعادة بنائه لما أصابه من أضرار بعد أن دخلت المياه إلى البيمارستان من الشبابيك، كما جدد السلطان السلجوقي طغرليك في عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م البيمارستان العضدي، والذي دخلت عليه المياه الجارفة وإلى حجراته وقاعاته الكبيرة، مما اضطر المرضى بمغادرة البيمارستان، والهروب منه خوفاً من الغرق، ثم أعيد بناء ما تهدم بفعل الفيضان[٢].

---

(١) **الزلازل:** تحريك الشيء، وتزلزلت الأرض زلزلة تحركت واضطربت، زلزلت الأرض أي تحركت تحريكاً عنيفاً متكرراً، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ٣٠٨/١١ .

(٢) ابن كثير، **البداية**، ١٠٩/١٣.

الفصل السابع : ميزات المكتبات الإسلاميَّة :

ويشتمل على :

أولاً : الميزة والصفة الدينية

ثانياً : الميزة والصفة التعليمية والتربوية

ثالثاً : الميزة والصفة العلمية

رابعاً : الميزة والصفة الاجتماعية

خامساً : الميزة والصفة الدعائية

الفصل السابع : ميزات المكتبات الإسلاميَّة :

ويشتمل على :

أولاً : الميزة والصفة الدينية :

لقد قامت المكتبة في الإسلام أول ما قامت، من أجل غاية دينية هي تعليم الناس أمور دينهم وتفقيههم وتثقيفهم ثقافة دينية، وقد أنشئت المكتبات من أجل هذا في المساجد والجوامع، ولذا نرى أن أقدم المكتبات ظهوراً في الإسلام هي مكتبات المساجد، وهذا شيء طبيعي ومنطقي طالما أن العلم في الإسلام وتعلم الإنسان أمور دينه واجب ديني، وهذا استلزم أن تكون الصفة الدينية أول وأبرز ما يكون في تكوين وطبيعة المكتبات الإسلامية.

ثانياً : الميزة والصفة التعليمية والتربوية :

لقد كانت المكتبة مركزاً للتربية والتعليم وكانت قسماً مهماً جداً من أقسام المؤسسات التربوية التعليمية التي ظهرت في الإسلام كالمدارس والكتاتيب والجامعات، وقد لاحظنا أن جميع بناة المدارس في الإسلام الحقوا بها خزائن كتب وكانت الخزانة شيئاً أساسياً في عملية التربية والتعليم في الإسلام.

ثالثاً : الميزة والصفة العلمية :

لم تكن المكتبة في الإسلام مكاناً لتعلم الفرائض والواجبات الدينية وتلقي العلوم الأخرى فحسب، بل كانت إلى جانب هذا وذلك مركزاً من مراكز البحث والدرس والتحميص والتأليف الرئيسية، ولذا نرى محتويات المكتبات حتى في المساجد والجوامع تتنوع وتتعدد حتى تتفق مع أغراض البحث والدراسة العلمية، بل أن بعض المكتبات اختصت بالبحث والدراسة العالية كبيت الحكمة في بغداد مثلاً.

رابعاً : الميزة والصفة الاجتماعية :

وهذه الصفة بارزة كل البروز، فلم تكن المكتبة في الإسلام مكاناً مهملاً مهجوراً يعلوه الغبار ولا يقصده إلا بعض الشيوخ الذين لا عمل لهم سوى قطع الوقت بارتياد المكتبات وغيرها، بل كانت منتدى اجتماعياً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ يجتمع فيه أهل البلدة أو الحي ويمارسون فيه حياة اجتماعية راقية كما كانت عليه الحال في مكتبة البصرة التي يصفها الحريري في مقاماته في القرن السادس الهجري والتي يقول عنها بأنها منتدى المتأدبين ومجمع الغائبين والقادمين، ومما لا شك فيه أن تلك المكتبة لم تكن الوحيدة من نوعها في بلاد الإسلام وإنما كان هناك كثير وكثير جداً من أمثالها في العالم الإسلامي.

خامساً : الميزة والصفة الدعائية :

لم تكن هذه الصفة شائعة أو ذائعة كل الذيوع وليست واضحة وضوح المميزات الأخرى، ولكن وجدت مكتبات في الإسلام أسست منذ اللحظة الأولى لتقوم بالدعاية لمذهب معين أو عقيدة معينة أو فكرة خاصة، وذلك طبعاً بالإضافة إلى قيامها بالوظائف الأخرى. فالمأمون العالم والخليفة المتنور استخدم بيت الحكمة هذه من أجل الدعاوة لأفكاره الاعتزالية ولترويج هذه المذهب الفكري الهام، وذلك إلى جانب الاهتمامات الاخرى الأساسية التي أسست المكتبة من أجل ترقيتها وخدمتها، والشيء نفسه يقال عن الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي أوجد دار الحكمة في القاهرة للدعوة إلى المذهب الفاطمي الاسماعيلي الذي كان مذهب الدولة الرسمي، وقد كان هنالك خوف من انتشار المذهب النزاري والجدل الذي حدث فيها من الأسباب التي أدت غلى إغلاقها بشكل مؤقت. ولقد أسس حكام طرابلس في القرن الخامس الهجري مكتبتهم الشهيرة من أجل الدعاية لمذهبهم الاسماعيلي، مع العناية بالبحث والتعليم وتسهيل وسائل نشر العلوم والتعليم.

الفصل الثامن : أثر المكتبات الإسلاميَّة في نهضة العالم

الفصل الثامن : أثر المكتبات الإسلاميَّة في نهضة العالم :

ازدهرت حضارة الإسلام مدى ستة قرون أو أكثر وذلك خلال الفترة الواقعة بين القرن السابع والقرن الثالث عشر ميلادي، كانت البلاد الإسلامية خلالها مركزاً عظيماً من مراكز الازدهار الحضاري والرقي العقلي والتقدم الفكري الذي كانت أوربا محرومة منه، تشغل هذه الفترة في عرف التاريخ والمؤرخين ما يسمى بالعصور الوسطى، يقول جيبون: "إن عصر العلم العربي يتوافق مع اكلح عصر من حوليات أوربا وأكثرها جهلاً"(١).

إن التراث الإسلامي انتقل إلى أوربا عن ثلاث طرق :

الأول طريق صقلية وجنوبي ايطاليا، الثاني طريق اسبانيا الإسلامية، والثالث عن طريق الاحتكاك المباشر الذي تم زمن الحروب الصليبية في الشرق، ولما كان الطريق الثالث أقل الطرق أهمية في عملية نقل التراث العقلي إلى أوربا فإننا سنركز اهتمامنا على انتقال التراث الإسلامي إلى أوربا عن الطريقين الأوليين فحسب. هذا ويبدو لنا أن مدرسة الطب التي أنشئت في سالرنو تعرضت لتأثيرات إسلامية في القرن العاشر الميلادي وذلك بواسطة شخص يهودي اسمه ساباط بن ابراهيم كان قد وقع أسيراً بيد المسلمين فنقلوه إلى بالرمو عاصمة صقلية وهناك تعلم علوم الإسلام من مصادرها الأصلية، وعندما انتقل إلى سالرنو ومدرستها الطبية أدخل إليها الطب الذي تعلمه عند المسلمين والعلوم المساعدة الأخرى، ويجب أن نلاحظ أن شبه الجزيرة الايطالية كانت آنذاك تحت النفوذ البيزنطي، ولذلك يمكن القول أن التأثيرات الإسلامية واليونانية (البيزنطية) التقت في شبه الجزيرة وخاصة في مدرسة سالرنو الطبية.

كان المركز الرئيسي لنقل علوم المسلمين غلى أوربا وخاصة الطب طليطلة، ذلك أن المدينة سقطت بأيدي المسيحيين سنة ١٠٨٥م، وكانت مركزاً من مراكز الثقافية الكبرى، وكانت جوامعها ومكتباتها مليئة بالكتب التي تبحث في كل فروع المعرفة وخاصة العلوم، هذا وان طليطلة نفسها، بمكانها المتوسط في شبه الجزيرة ايبريا، أثبتت انها مكان صالح من أجل عملية التبادل الثقافي هذه، وقد وجد بها كثير من العلماء الذين يتقنون اللغتين العربية واللاتينية، وقد

---

(١) تومبسون، ج، و، **المكتبة في العصور الوسطى**، ٢٦.

نشأت فيها مدرسة نظامية للنقل من العربية إلى اللاتينية، وذلك بمساعدة اليهود والعرب المتنصرين.

وقد استأثرت الحركة الجديدة هذه باهتمام حاكمين كبيرين من حكام أوربا في القرن الثالث عشر هما الإمبراطور فريدريك والفونسو العاشر العالم ملك قشتالة.

أما الإمبراطور فريدريك الثاني (١٢١٥-١٢٥٠م) الذي كان إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة وملكاً على صقلية وألمانيا معاً، فقد تأثر بالحضارة الإسلامية كل التأثر وعاش في قصره عيشة نصف شرقية وجمع حوله العلماء من الشرق والغرب والفلاسفة من سورية وبغداد وأوجد في قصره حريماً وعقدت في قصره المناقشات، وكان قصره معبراً لانتقال العلوم الإسلامية والفلسفة الإسلامية إلى أوربا.

وقد ظهر في قشتالة ملك عالم، وهو معاصر لفريدريك الثاني وأصغر منه، ذلك هو الفونسو العاشر المتوفي سنة ١٢٨٤م الذي كان حامياً للعلوم مشجعاً لها وخاصة نقل العلوم الإسلامية إلى أوربا[١].

وهكذا فقد امتلك الأوربيون قبل نهاية القرن الثالث عشر أثمن وأفضل ما في المكتبات الإسلامية وأصبح تحت تصرفهم جاهزاً في نقول وترجمات لاتينية وهي لغة البحث والدراسة والتأليف آنذاك في أوربا، وهو في نفس الوقت الذي ترنح فيه الإسلام تحت ضربات البرابرة المغول في الشرق ودمر فيه قسم كبير جداً من بلادهم وحضارتهم وكتبهم ومكتباتهم وذهبت طعاماً للنار.

هذا هو الطريق الذي سلكه التراث المكتبي الإسلامي إلى مكتبات أوربا، وأما في حقل المكتبات بالذات فقد ظل الغرب، كما رأينا، مختلفاً بضعة قرون عن المسلمين في هذا الحقل وليس هناك سوى مثل واحد يمكن أن نجد فيه محاولة من أحد ملوك الغرب لتقليد المسلمين في تأسيس المكتبات والعناية بها، ذلك أن ملك فرنسا لويس التاسع الذي أتى إلى المشرق أبان

---

(١) نفس المصدر، ٣٦٧.

الحروب الصليبية، قد تأثر على ما يبدو بالمكتبات الإسلامية وحاول تقليدها فأسس في باريس مكتبة قدر لها أن تصبح فيما بعد مكتبة عامة(١).

وقد سار عليها الأمويون في الأندلس مع رعاياهم من النصارى واليهود، حيث لم يستثنوهم من تولي الوظائف العامة بما فيها العمل في قصر الخلافة ومكتبته الكبرى، فقد كانت تعيش طوائف مسيحية ويهودية كثيرة العدد في عاصمة الخلافة، تمارس طقوسها الدينية في حرية تامة، وينعمون بالأمن والرخاء في ظل حماية الدولة الإسلامية لهم، ويشاركون المسلمين في حياتهم العامة، فسرت إليهم العادات الإسلامية، وأقبلوا على تعلم اللغة العربية وآدابها، وكتبوا بها مؤلفاتهم العلمية، وشاركوا مشاركة فعالة في خدمة الكتب والحركة العلمية في الأندلس، فقد كان منهم مترجمون ونساخون ومجلدون، واقتنى الكثيرون منهم مكتبات كبرى أغلب كتبها باللغة العربية، ولعل هذه النعمة التي نعم بها هؤلاء المسيحيون الأسبان في ظل الحضارة الإسلامية في الأندلس، والتي شهد بها المطران "الفيرو القرطبي" alvaro de cordoba عندما أصبح مطران العاصمة، وكان متعصبا لبني جلدته حيث كتب يقول: ". . . من الذي يعكف اليوم بين أتباعنا من المؤمنين بديننا على دراسة الكتب المقدسة، أو يرجع إلى كتاب أي عالم من علمائها ممن كتبوا في اللغة اللاتينية؟ من منهم يدرس الإنجيل أو الأنبياء أو الرسل؟ إننا لا نرى غير شبان مسيحيين هاموا حبا باللغة العربية، يبحثون عن كتبها ويقتنونها، ويدرسونها في شغف، ويعلقون عليها، ويتحدثون بها في طلاقة، ويكتبون بها في جمال وبلاغة، ويقولون فيها الشعر في رقة وأناقة. يا للحزن! مسيحيون يجهلون كتابهم وقانونهم ولاتينيتهم، وينسون لغتهم نفسها؛ لأن الفصاحة العربية تسكرهم، ولا يكاد الواحد منهم يستطيع أن يكتب رسالة معقولة لأخيه مسلما عليه، وتستطيع أن تجد جمعا لا يحصى يظهر تفوقه وقدرته وتمكنه من اللغة العربية(٢).

ولعل في شهادة هذا القس المتعصب ما يقيم دليلا قويا شهد به أعداء الإسلام، على ما تتميز به الحضارة الإسلامية من طابع إنساني رفيع، فهي تكفل للإنسان إنسانيته مهما كان جنسه ودينه، ولا تسلبه حقوقه الإنسانية في طلب العلم والتعلم، وفي الوقت الذي فتح فيه الأمويون أبواب مكتباتهم وجامعاتهم العلمية أمام كل طالب علم، يستوي في ذلك المسلم وغير

---

(١) بينتو، اولغا، **المكتبات العربية في العصر العباسي في الثقافة الإسلامية**، المجلد الثالث، ٢٢٠.

(٢) **مجلة البحوث الإسلامية**، ١٧/ ٣٤٩.

المسلم، نرى أبناء المسلمين اليوم يعانون كثيرا من الأزمات في طلب العلم وتحصيله، حيث تقوم بعض المؤسسات العلمية في الغرب بحبس الكثير من النتائج العلمية ولا سيما في مجالات العلم والتكنولوجيا، وتناسى هؤلاء القوم أنهم تعلموا على أيدي علماء بررة، لا يكتمون علما ولا يحبسون أسراره عن أحد عملا بقول نبي الإسلام – صلوات الله عليه: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة[1].

فشتان إذن بين حضارتين: حضارة ترى العلم فرض كفاية إن لم يوجد في الأمة من يقوم به أثمت الأمة جميعها فلا تحول بينه وبين طلابه من أجل إسعاد البشرية، وحضارة تضن به وتقصره على أبنائها من أجل السيطرة والاستعلاء، ولم يقتصر التأثير الفكري على نصارى أهل الأندلس، بل امتد ليعم أثره شعوب غرب أوربا قاطبة، وهذه حقيقة لا مراء فيها، فتشير الروايات إلى تأثر الإيطاليين والألمان والفرنسيين بمؤثرات الفكر الإسلامي عن طريق صقلية والأندلس إبان القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، فقد نقل شاباط بن إبراهيم، وكان يهوديا، علوم الطب من (بالرمو) عاصمة صقلية إلى شبه الجزيرة الإيطالية، وفي سنة ٩٥٣ م بعث الإمبراطور أوتو الكبير "جان غورتز" في بعثة سياسية إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر في الأندلس، وقد مكث فيها ثلاث سنوات تعلم أثناءها اللغة العربية، وعندما رجع إلى ألمانيا حمل معه مجموعة كبيرة من الكتب العربية، ويرجح الدكتور محمد ماهر حمادة أن بعضها كان كتبا علمية، مستدلا على ذلك بالازدهار الملحوظ في دراسة العلوم خلال القرن الحادي عشر[2].

كما كانت كثير من المدن الأندلسية مراكز علمية كبرى ساهمت في نقل الفكر الإسلامي إلى أوربا، مثل قرطبة، إشبيلية، بطليوس، بلنسية، سرقسطة طليطلة، وقد شهدت الأخيرة أكبر حركة لتأثر الأوربيين بالفكر الإسلامي، فقد غصت مكتباتها وجوامعها بالكتب العربية في شتى العلوم المختلفة، ولا سيما العلمية، وأنشئت فيها مدرسة للترجمة من العربية إلى اللاتينية أغلبها من اليهود والنصارى الذين يجيدون اللغتين، وقاموا بنقل العديد من المؤلفات

---

(١) **سنن الترمذي**، كتاب العلم (٢٦٤٩)، **سنن أبو داود**، كتاب العلم (٣٦٥٨)، **سنن ابن ماجه**، المقدمة (٢٦١) ، **مسند أحمد بن حنبل** (٣٤٤/٢).

(٢) محمد ماهر حمادة، **المكتبات في الإسلام**، ٢١٢، **مجلة البحوث الإسلامية** ٣٥٠/١٧.

العربية ولا سيما بعد سقوط هذه المدينة في أيدي ألفونسو السادس الذي شجع حركة الترجمة هذه، ولم يأت القرن الثالث عشر إلا وكانت معظم المؤلفات العربية تدرس في أوربا(١).

ويكفينا في هذا المقام شهادة "أنجل جنثالث بالنسيا" palencia مؤلف تاريخ الفكر الأندلسي والذي نقله عن الأسبانية "الدكتور حسين مؤنس" يقول: "إن الفضل في قيام الدراسات الطبية في أوربا يرجع إلى ما كتبه العرب. العرب الذين كانوا يبعثون بالسفراء لاستجلاب الكتب القيمة ما بين إغريقية ولاتينية، ويقيمون المراصد لدراسة الفلك، ويقومون بالرحلات ليستزيدوا من العلم بالتاريخ الطبيعي، وينشئون المدارس لتدرس فيها العلوم بشتى صنوفها"(٢).

الخاتمة : وبعد، فهذه مكتبة الأمويين في قرطبة، وقد نظمت تنظيما علميا على نحو ما رأينا، فكانت لؤلؤة زمانها، وسراج العلم في عصرها، ولا غرو في ذلك، فإن دورها في توطيد الصلات العلمية بين المشرق الإسلامي ومغربه لا ينكر، وتأثيرها الفكري في شعوب أوربا لا يجحد، ورحم الله الناصر الأموي وطيب ثراه بما أسداه للمسلمين وللإنسانية جمعاء، فقد أثمرت جهوده الطيبة في خدمة العلم والعلماء، وتألقت على يديه تلك المكتبة العظمى التي سطرت صفحة مشرقة في تاريخ الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية.

---

(١) محمد ماهر حمادة، **المكتبات في الإسلام**، ٢١٤.

(٢) علي محمد راضي، **الأندلس والناصر**، دار الكتاب العربي، ١١٥، ١١٦، **مجلة البحوث الإسلامية** ١٧/ ٣٥٠.

الخاتمة

كانت البلاد الإسلامية وحدة ثقافية واحدة رغم التجزئة السياسية التي أصابتها وجعلت منها عدداً كبيراً جداً من الدويلات الهزيلة المتقسمة، وكانت الأفكار والكتب والبضائع والأشخاص تنتقل بحرية عامة، والأغلب أن انتقال الكتب كان يتم من الشرق إلى الغرب أي إلى الأندلس حيث أن الشرق كان في عصوره الأولى على الأقل متقدماً على الأندلس في التأليف.

لم تكن المكتبات في الإسلام موجودة لمجرد الزينة أو للتباهي الفاخر أو لقطع الوقت وتزجية الفراغ أو ارضاء لهواية جمع الكتب، بل كانت لغاية أسمى من ذلك بكثير، فقد كانت مكاناً لتثقيف الشعب ككل ومكاناً للبحث والدرس والتأليف والتمحيص بشكل خاص. وان النشاط الهائل الذي أظهره علماء الإسلام وأدباؤه عائد بالدرجة الأولى إلى حسن استخدامهم المواد التي توفرت لديهم في مكتباتهم، فالمأمون الذكي الطلعة استفاد فائدة كبرى من مطالعاته في مكتباته واشتهر بالعلم والذكاء لكثرة ما قرأ وبحث وكذلك الجاحظ العالم الموسوعي الذي جمع فأوعى والف المؤلفات العظيمة استفاد كل الفائدة من المكتبات ومن دكاكين الوراقين يطالع ويدرس، وإن كتاب الفهرست لابن النديم كان ثمرة لاشتغال مؤلفه النشيط بالوراقة والنسخ والأمور المكتبية، ويستطيع المرء أن يتخيل مقدار الخسارة التي كانت من الممكن أن تلحق بالتراث الإسلامي لو فقد هذا الكتاب، ذلك أن هذا الكتاب حوى معلومات عن الكتب والمؤلفين والنقل والتعريب ليست موجودة في غيره من الكتب وكل من أتى بعده نقل منه واعتمد عليه وهو مدين له في هذه الناحية. كذلك استفاد المؤرخ الكبير ابن مسكويه من كونه خازناً لمكتبتين، حتى الحكام والخلفاء الأذكياء الذين أحبوا الكتب وجمعوها بالألوف واعتنوا بها وأنفقوا عليها قسماً كبيراً من أموالهم أحسنوا الاستفادة من كتبهم ومكتباتهم، فهذا هو الحكم الثاني خليفة قرطبة لعله أعلم خليفة في الإسلام يصفه صاحب نفح الطيب ويصف استفادته من كتبه بقوله: "وكان ذا غرام بها (الكتب) فقد آثر ذلك على لذات الملوك فاستوسع علمه وذق نظره وجمت استفادته"[1]. وذكر فقي مكان آخر: "وقلما يوجد كتاب من خزائنه إلا وله فيه قراءة أو نظر في أي فن كان ويكتب نسب المؤلف ومولده ووفاته ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجه إلا عنده لعنايته بهذا الشأن"[2].

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص: ٣٩٥.

(٢) نفس المصدر.

لائحة بأهم المصادر والمراجع

لائحة بأهم المصادر والمراجع :

١: ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، بيروت دار الفكر، ١٩٥٦م. ج٣.

٢: ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي، **الكامل في التاريخ**، القاهرة، دار الطباعة المنيرية، ١٣٥٣هـ.

٣: ابن بشكوال، أبو القاسم خلف عبد الملك، **الصلة في تاريخ ائمة الأندلس**، تحقيق عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ١٩٥٥م، ج٢.

٤: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤٣م.

٥: ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حيان الأندلسي، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م.

٦: ابن خلدون، عبد الرحمن، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**، القاهرة، دار الطباعة الخديوية، ١٢٨٤هـ.

٧: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، **وفيات الأعين وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م.

٨: ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**.

٩: ابن الطقطقي، فخر الدين محمد بن علي طباطبا، **الفخري في الآداب السلطانية والأمم الإسلامية**، القاهرة، ١٩٢٣م.

١٠: ابن الفوطي، أبو الفضل عبد الرزاق، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة**، تحقيق مصطفى جواد، بغداد، المكتبة العربية، ١٩٣٢م.

١١: ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل، **البداية والنهاية**... القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٥١هـ.

١٢: ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، القاهرة شركة التمدن الصناعية، ١٩٤٥م.

١٣: ابن النديم، أبو فرج محمد بن اسحق، **كتاب الفهرست**، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٤٨هـ.

١٤: أبو بكر المعافري، محمد بن عبد الله بن عربي، **أحكام القرآن**، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٣١هـ.

١٥: أبو العلاء المعري، **رسالة الغفران**، تحقيق بنت الشاطئ، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٠م.

١٦: ارنولد، سير توماس (محرر)، **تراث الإسلام**، اكسفورد، مطبعة كلرين، ١٩٣١م.

١٧: أمير علي، سيد، **مختصر تاريخ المسلمين**، لندن، ماكميلان، ١٩٢١م.

١٨: أمين، أحمد، **ضحى الإسلام**، الطبعة الثالثة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٢م.

١٩: أمين علي، سيد، **ظهر الإسلام**، القاهرة مطبعة خلف، ١٩٥٨م، ج٤.

٢٠: بتلر، الفرد، **فتح العرب لمصر**، تعريب محمد فريد أبو حديد، الطبعة الثانية، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٦م.

٢١: البرقوقي، محمد عاطف والتوانسي، ابو الفتوح محمد، **الخوارزمي العالم الفلكي الرياضي**، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤م.

٢٢: بينتو، أولغا، ((المكتبات العربية في العصر العباسي)) في : **الثقافة الإسلامية**، المجلد الثالث ١٩٢٩م.

٢٣: تومبسون، ج، و، **المكتبة في العصور الوسطية**، نيويورك، شركة هافز للنشر، ١٩٥٧م.

٢٤: جرونيباوم، جوستاف، **حضارة الإسلام**، تعريب عبد العزيز جاويد، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢٥: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، **كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، تحقيق محمد شرف الدين يا لتقايا ورفعت بيلكه الكليسي استانبول، وكالة المعارف، ١٩٤١-١٩٤٣م، ج٢.

٢٦: حتي فيليب، **تاريخ العرب من أقدم العصور حتى الآن**، الطبعة السادسة، لندن، ما كميلان، ١٩٥٦م.

٢٧: خدابخش، صلاح الدين، **مجلة القرن التاسع عشر**، ١٩٠٢م.

٢٨: ديورانت، ول، **قصة الحضارة**، تعريب أحمد بدران، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠م.

٢٩: دي بور، ت، ج، **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، تعريب عبد الهادي أبو ريدة، الطبعة الثانية، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٧م.

٣٠: شلبي، أحمد، **تاريخ التربية الإسلامية**، بيروت دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٥٤م.

٣١: صاعد الأندلسي، **كتاب طبقات الأمم**.

٣٢: فنسك (محرر)، **المعارف الإسلامية**، دائرة ليدن، بريل، ١٩٠٩- ١٩٣٨م.

٣٣: القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، **كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشا**، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩١٤- ١٩١٩م، ج١٤.

٣٤: قينتو الأربلي، عبد الرحمن بن سنبط، **خلاصة الذهب المسبوك مختصر سير الملوك**، بغداد، مكتبة المثنى.

٣٥: الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، **فوات الوفيات**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥١م، ج٥٢.

٣٦: كرد علي، محمد، **الإسلام والحضارة العربية**، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠م، ج٢.

٣٧: كرد علي، محمد، **رسائل البلغاء**.

٣٨: لويد، سيتون، **الرافدان**.

٣٩: ماكينس، ر، س، ((خليفة تاريخ المكتبات الإسلامية)) في: **المجلة الأمريكية للغات السامية وآدابها**، المجلد الثاني والخمسون، تشرين أول ١٩٣٥- تموز ١٩٣٦م.

٤٠: معروف، ناجي، **تاريخ علماء المستنصرية**، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٥٩م.

٤١: المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ليدن، بريل، ١٩٠٦م.

٤٢: المقري، أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صاعد، ١٩٦٨م، ج٧.

٤٣: المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **الخطط المقريزية**، الشياح، لبنان، مكتبة احياء العلوم، ج٣.

٤٤: ميتز، آدم، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، تعريب عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨م، ج٢.

٤٥: ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومي، **معجم الأدباء**، تحقيق أحمد فريد الرفاعي، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٦م.

٤٦: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٠٦م.

٤٧: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، **كتاب البلدان**، تحقيق دي غويه، ليدن، بريل، ١٨٩٢م.

هذا الكتاب منشور في